# أصول الدين

## دراسة لمراتب الدين
## وأسس العقيدة وأركان الشريعة

أ.د. محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً



دار الصميعي للنشر والتوزيع

# أصـــول الدين

## دراسة لمراتب الدين وأسس العقيدة وأركان الشريعة


تأليـف

**أ. د. محمد بن عبدالعزيز بن أحمد العلـي**

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

ⓒ دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ١٤٣٠هـ

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

العلي ، محمد عبدالعزيز أحمد

أصول الدين : دراسة لمراتب الدين وأسس العقيدة وأركان الشريعة - الرياض ، ١٤٣٠هـ

٢٢٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٢-١٥-٨٠٥٠-٦٠٣-٩٧٨

١- أصول الفقه أ- العنوان

ديوي ٢٥١ ١٤٣٠/٥٧٧٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٥٧٧٨

ردمك: ٦-١٥-٨٠٥٠-٦٠٣-٩٧٨

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

الصف والإخراج الفني
بدار الصميعي

دار الصميعي للنشر والتوزيع /
المملكة العربية السعودية
الرياض ص. ب : ٤٩٦٧
الرمز البريدي ١١٤١٢
المركز الرئيسي : الرياض - السويدي -
شارع السويدي العام
هاتف : ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ ،
فاكس : ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم : عنيزة - بجوار مؤسسة الشيخ
محمد بن عثيمين الخيرية
هاتف: ٣٦٢١٧٢٨ تلفاكس : ٣٦٢٤٤٢٨
الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية
/ جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨ ،
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
البريد الالكتروني :
daralsomaie@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمـد لله رب العـالمين ، والـصلاة والـسلام عـلى خـاتم الأنبيـاء والمرسلين ، أما بعد:

فهذا كتاب ذكرت فيه مراتب الدين ، وتعريفها والعلاقة بينها ، مفصلاً الحديث في أركـان الإسـلام والإيـمان والإحـسان ، ولـذا سـميته (أصـول الدين).

ومما لا ريب فيه أن هذه المراتب العظيمة هي أولى ما يجب الاشتغال به، وصرف الأوقات في مدارسته والتفقه فيه ، ومن أجل ما اشتملت عليه من أصول عظيمة أُرسلت الرسل وأنزلت الكتب من الله تعالى.

ومما جعلني أختار الكتابة في هذه الموضوعات ما رأيته من الحاجة إلى وجود كتاب يجمع مراتب الدين ، وأصول العقيدة ، وأركان الشريعة ، بمادة تفي بالقيمة العلمية ، دون إطالة قد تكون مملّة لعامة القراء ، ومن غير اختصار قد يكون مخلاً.

ولهذا حرصت على أن يكون هذا الكتاب تقريراً لما ذكر فيه من مسائل عقدية ، دون تطرق إلى الفرق المخالفة ، والآراء المفارقة.

وقد أفدت في كتابته من مصادر علمية متنوعة ، رأيت تأجيل ذكرها إلى

فهرس المصادر والمراجع ، آخر صفحات الكتاب ، دون الإحالة إليها في هوامشه؛ وذلك تلافياً لإطالة الحواشي ، مما يزيد في صفحاته؛ إذ اقتصرت فيها على عزو الآيات وتخريج الأحاديث.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا إخلاص النية وصلاح الأقوال والأعمال.

## مراتب الدين
## تعريفها والفرق بينها

* مراتب الدين :

مراتب الدين الإسلامي ثلاث ، هي: الإسلام والإيمان والإحسان ، وقد دل على ذلك حديث جبريل ، عندما جاء يعلم الصحابة دينهم ، لينقلوه إلى من بعدهم.

فقد جاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : (**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**) ، قال: صدقت ، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال: فأخبرني عن الإيمان ، قال: (**أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره**) ، قال: صدقت ، قال: فأخبرني عن الإحسان ، قال: (**أن تعبد الله كأنك تراه ،**

**فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** ، قال: فأخبرني عن الساعة ، قال: **(ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)** ، قال: فأخبرني عن أماراتها ، قال: **(أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان)** ، قال: ثم انطلق ، فلبثت ملياً ، ثم قال لي: **(يا عمر ، أتدري من السائل؟)** قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: **(فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)**[1].

دل هذا الحديث على أن دين الإسلام يجمع ثلاث مراتب ، أولها الإسلام ، وأوسطها الإيمان ، وأعلاها الإحسان.

*** تعريف الإسلام :**

**الإسلام في اللغة:** هو الاستسلام والانقياد والخضوع يقال: أسلم له ، أي دان وخضع وذل له ، كما يأتي الإسلام في اللغة بمعنى: السلامة والبراءة والخلاص.

**الإسلام في تعريف الشرع :** هو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله.

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ،ح٨ ، وأخرجه من رواية أبي هريرة ، البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ ، ح ٥٠ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ح٩.

فالإسلام في تعريف الشرع يشمل جميع أمور الدين ، إذ هو الاستسلام لله تعالى بعبادته وحده ، لا شريك له ، والانقياد لشرعه ، باتباع رسوله ، والبراءة من الشرك وأهله.

والإسلام هو الدين الذي بعث الله تعالى به نبيه محمداً ﷺ وأرسله به إلى الناس كافة ، وهو ما قد يسمى بالإسلام الخاص ، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١].

كما يطلق الإسلام إطلاقاً عاماً ، ويراد به الاستسلام لله تعالى وتوحيده وطاعته والبراءة من الشرك والمشركين ، وهذا ما جاءت به جميع الرسل من الله تعالى وما بعث به جميع أنبيائه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٢].

وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٣].

فدين الأنبياء واحد وهو توحيد الله تعالى ، أما شرائعهم فمتنوعة كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٤].

---

(١) سورة المائدة الآية ٣.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩.

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٤) سورة المائدة الآية ٤٨.

*** تعريف الإيمان :**

**الإيمان في اللغة:** هو التصديق بالشيء مع الإقرار به.

يقال آمنت به: أي صدقته وقبلته ووثقت به وخضعت له.

وعلى هذا التعريف فالإيمان يتضمن معنى زائداً على مجرد التصديق؛ إذ الإيمان في لغة العرب هو التصديق المستلزم للقبول والإذعان.

**الإيمان في تعريف الشرع:** هو التصديق والقبول والإذعان بجميع ما أمر الله به ورسوله وجميع ما نهى عنه الله ورسوله ، وهو قول وعمل ، قول القلب وقول اللسان ، وعمل القلب وعمل الجوارح ، فالإيمان في عرف الشرع: تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

هذا التعريف هو الذي دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وحكى غير واحد من العلماء الإجماع عليه.

فمن الأدلة على أن الإيمان تصديق بالقلب ، آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾[1].

ومن الأدلة على أن الإيمان إقرار باللسان قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤١.

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾[1].

ومما يدل على أن الإيمان عمل بالجوارح قوله ﷺ: (**الإيمان بضع وستون، أو بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها (وفي رواية: أعلاها) قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان**)[2] ، وغير ذلك من الأدلة الكثيرة.

*** عظم قول اللسان وعمل الجوارح وتلازمهما لقول القلب وعمله:**

دلت النصوص الشرعية على عظم قول اللسان كالنطق بالشهادتين وتلاوة القرآن وقراءة الأذكار كما دلت على عظم عمل الجوارح ، وهو ما لا يؤدى من العبادات إلا بها ، كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغيرها.

فقول اللسان هو الأصل في ثبوت وصف الإيمان ، فمن لم يصدق بلسانه ولم ينطق بالإيمان ، مع القدرة على ذلك ، فلا يسمى مؤمناً.

وكما يجب على الخلق أن يصدقوا الرسل وينطقوا بالإيمان بهم؛ فإن عليهم أن يطيعوهم وينقادوا لهم ويتبعوهم في أمرهم ونهيهم ، وهذا هو

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان ، ح٩ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان ح٣٥.

عمل الجوارح.

وأعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب ولازمة لها ، فالقلب إذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة ، لا يمكن أن يختلف البدن عما يريده القلب؛ فإذا كان القلب صالحاً بالإيمان لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول والعمل ، وقد دل على ذلك قوله ﷺ: **(ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب)**[1].

ولهذا فإن عدم الأعمال الظاهرة يدل على انتفاء الإيمان بالباطن؛ فإذا تحقق الإيمان في القلب أثر في الظاهر ، فالظاهر والباطن متلازمان ، ولا يكون الظاهر مستقيما إلا مع استقامة الباطن ، وإذا استقام الباطن ، فلا بد أن يستقيم الظاهر ، وإذا انتفت استقامة الظاهر دل على انتفاء استقامة الباطن.

والخلاصة أن الإيمان ليس شيئاً واحداً وإنما هو مراتب متفاوتة وشعب متعددة ، وكل شعبة منه تسمى إيماناً ، فالصلاة وسائر أعمال الجوارح من الإيمان ، والأعمال الباطنة كالحياء والحب والخوف والرجاء والتوكل من الإيمان ، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة ، ومنها

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ح٥٢ ، ومسلم كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال ح ١٥٩٩.

ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق ، وبينهما شعب متفاوتة.

وعلى هذا فإن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، ويجتمع في الشخص الواحد إيمان مع اقتراف للمعاصي ، صغائر أو كبائر ، بل يجتمع فيه إيمان وكفر غير مخرج من الملة ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1].

فعلى العبد أن يجتهد في إصلاح قلبه ويتعاهد أقواله وأعماله الباطنة ، لتصلح أعمال جوارحه ، ولتستقيم حياته ، كما عليه أن يجتهد في زيادة إيمانه ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن لزيادة الإيمان أسباباً أربعة ، هي معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ، والنظر في آيات الله تعالى الكونية والشرعية ، وكثرة الطاعات وإحسانها ، وترك المعاصي تقرباً لله جل وعلا.

*** تعريف الإحسان :**

**الإحسان في اللغة:** هو نقيض الإساءة ، يقال: هذا رجل محسن ، نقيض المسيء.

**الإحسان في تعريف الشرع:** هو الإتيان بالأعمال الظاهرة والباطنة على أفضل وجه من المتابعة للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص لله تعالى.

وقد فسره الرسول ﷺ بأنه (**أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه**

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١٠٦.

يراك)[1] وهذا هو ركن الإحسان.

ومعنى ذلك أن تعبد الله تعالى مستحضراً قربه ، كأنك واقف بين يديه تراه ، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ، ويوجب النصح في العبادة ، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها ، فإن لم تكن على هذه الحال، أو شق عليك استحضار ذلك ، فعليك أن تستشعر بأن الله يراك، ويطلع على سرك وعلانيتك ، وباطنك وظاهرك ، ولا يخفى عليه شيء من أمرك ، وعندئذ تحذر أن يراك حيث نهاك ، وتعمل على أن يراك حيث أمرك.

*** الفرق بين مراتب الدين :**

الإيمان والإسلام من الأسماء الشرعية التي تتنوع دلالتها بالإفراد والاقتران ، فحالة اقترانهما في نص واحد يختلف عن حالة إفراد أحدهما.

فإذا اجتمع الإيمان والإسلام صار لكل واحد منهما معنى ، وإذا أفرد أحدهما بالذكر دخل فيه الآخر ، وفسر أحدهما بما يفسر به الآخر ويشمله.

فإذا اجتمع الإيمان والإسلام ، فسر الإيمان بالأمور الباطنة المتضمنة للتصديق والإذعان والإقرار ، وفسر الإسلام بالأمور الظاهرة المتضمنة للأقوال والأعمال.

ويشهد لهذا المعنى في اجتماعهما قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ

---

(١) سبق تخريجه.

تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا﴾[١] فهؤلاء الأعراب مسلمون غير كاملي الإيمان.

وكذلك يشهد له حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وسعد جالس فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إلي فقلت : يا رسول الله مالك عن فلان ؟ فو الله إني لأراه مؤمناً ، فقال : (**أو مسلماً**)[٢] قالها ثلاثاً ، فأثبت له الإسلام الذي يثاب عليه ولم يثبت له الإيمان الكامل.

وأيضاً حديث جبريل عليه السلام حين جاء إلى الصحابة ليعلمهم دينهم، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام قال : يا محمد أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : (**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**) قال: صدقت ، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال: ( **أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)، قال : صدقت،...[٣].

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ح٢٧ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب تأليف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه ح١٥٠.

(٣) حديث جبريل ، سبق تخريجه.

ففي هذا الحديث اقترن ذكر الإيمان والإسلام ؛ ولهذا اختلف تفسير أحدهما عن الآخر ، فجاء ذكر معنى الإيمان بالعقائد الست الباطنة ، وجاء ذكر معنى الإسلام بالشعائر الخمس الظاهرة.

وأما إذا انفرد ذكر الإيمان عن الإسلام ، فإن كل واحد منهما يفسر بما يفسر به الآخر ، فيكون الإيمان بمعنى الأمور الباطنة والظاهرة أي يكون بمعنى الدين كله ، وكذلك يكون الإسلام شاملاً للأمور الظاهرة ويدخل فيه ما في القلب من تصديق وإذعان وخضوع ، أو ما يعبر عنه بالأعمال الباطنة.

ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1] ، وقوله ﷺ: **(الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة ؛ فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)**[2] ، فلما أفرد ذكر الإيمان في هذا الحديث ذكر فيه قول اللسان وعمل الجوارح وعمل القلب.

وكذلك قوله ﷺ لوفد عبد قيس: **(هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ )** قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال: **(شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من المغنم**

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٥.

(٢) سبق تخريجه.

الخمس)[١] فلما أفرد ذكر الإيمان فسره بالأعمال الظاهرة والمتضمنة للتصديق والإذعان.

وقوله تعالي: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٢] فسر الإسلام عندما أفرد ذكره بالدين كله أي بالأعمال الظاهرة والباطنة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٣].

وإذا اقترن ذكر الإسلام والإيمان والإحسان؛ فإن الإسلام يكون بمعنى الأعمال الظاهرة ، والإيمان بمعنى الأعمال الباطنة ، والإحسان كمال الظاهر والباطن.

وإذا وصف العبد بالإحسان مفرداً دخل فيه الإيمان والإسلام.

وبهذا يكون الإحسان بالنسبة للإيمان والإسلام أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله ، وكذا الإيمان بالنسبة للإسلام ، ويكون أتباع النبي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان ح٥٣ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ح١٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٩.

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٨٥.

ﷺ ثلاث مراتب ، أدناها المسلمون ، ثم المؤمنون ، ثم المحسنون ، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

فالظالم لنفسه هو المسلم الذي معه شيء من الإيمان ، ولكنه لم يقم بما يجب عليه من الإيمان.

والمقتصد هو المؤمن الذي أدى الواجبات وترك المحرمات.

والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه ، ساعياً في تكميل إيمانه وتقواه ، متقرباً لله تعالى بالنوافل بعد الفرائض .

ومع هذا التفاوت بين هؤلاء في هذه المراتب إلا أن كلهم ممن أورث الكتاب وممن اصطفي ، لكن المقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة ، بخلاف الظالم لنفسه فإنه معرض للوعيد.

والخلاصة أن الإحسان والإيمان الإسلام درجات ، فأعلى هذه الدرجات الإحسان ، ودونه درجة الإيمان ، ودون ذلك درجة الإسلام ، فكل محسن مؤمن مسلم ، وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مؤمن محسناً ، ولا

---

(١) سورة فاطر ، الآيتان ٣٢ ، ٣٣.

كل مسلم مؤمناً محسناً.

فعلى العبد العاقل الحصيف أن يجتهد في الإخلاص والمتابعة؛ ليصل إلى درجة الإحسان أعلى الدرجات وأكملها.

* * *

## أركان الإسلام وحكم تاركها أو أحدها

أركان الإسلام وأسسه التي يبنى عليها خمسة هي:

١- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

٢- إقام الصلاة.

٣- إيتاء الزكاة.

٤- صيام رمضان.

٥- حج بيت الله الحرام.

هذه الخمسة هي أركان الإسلام ، وهي أسس الشريعة الإسلامية ، وقد دل عليها آيات كثيرة ، من كتاب الله تعالى ، كما دل على هذه الأركان أحاديث عديدة ، منها قوله ﷺ : (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان، والحج)[1].

وفي حديث جبريل : وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس ح٨ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ح٢١.

**وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا...)**[1].

**١ - فالركن الأول من أركان الإسلام هو الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله.**

ومعناهما: الاعتقاد الجازم المعبر عنه باللسان بأنه لا معبود بحق إلا الله تعالى ، وأن محمداً عبده ورسوله.

فشهادة أن لا إله إلا الله اشتملت على ركنين: نفي ، وإثبات ، نفي العبادة عن كل ما سوى الله ، وإثبات العبادة لله وحده لا شريك له ، والمراد نفي العبادة الحقة الصحيحة عن غير الله ، وإثباتها لله وحده ، أما العبادة الباطلة فهي موجودة لآلهة باطلة كثيرة.

وشهادة أن محمداً عبده ورسوله ، تعني أن يطاع في جميع أوامره ، ويصدق في جميع ما أخبر به ، وأن يجتنب جميع ما نهى عنه ، وأن لا يتعبد إلا بما شرع ، وأن يحب فوق محبة كل محبوب من الخلق.

وهاتان الشهادتان تحرران القلب والنفس من الرق للمخلوقين والاتباع لغير المرسلين.

وقد جعلت الشهادتان ركنا واحداً لسببين:

---

(١) - سبق تخريجه.

أحـدهما: أن الرسـول ﷺ مبلـغ عـن الله تعـالى ، فالـشهادة لـه بالعبوديـة والرسالة من تمام شهادة أن لا إله إلا الله.

فالشهادتان متلازمتان ، وهما لازمتان لكل عبد ، من حين بعثته ﷺ إلى قيـام الـساعة ، فمـن لم يـؤمن بـه ﷺ كـان مـن أصـحاب النـار ، لقولـه ﷺ: **(والـذي نفـس محمـد بيـده لا يـسمع بي أحـد مـن هـذه الأمـة ، يهـودي ولا نـصراني ، ثـم يمـوت ولم يـؤمن بالـذي أرسـلت بـه إلا كـان مـن أصـحاب النار)**[1].

الثاني: أن الشهادتين أساس صحة الأعمال وقبولها؛ إذ لا صـحة لعمـل ولا قبول إلا بالإخلاص لله تعالى ، والمتابعة لرسوله ﷺ ، فبـالإخلاص لله تتحقـق شـهادة أن لا إلـه إلا الله ، وبالمتابعـة لرسـوله ﷺ تتحقـق شـهادة أن محمداً عبده ورسوله.

فالإخلاص والمتابعة هما شرطا قبول العبادة ، وكل عمل يتقرب به إلى الله تعالى لابد أن يتوفر فيه الشرطان؛ ليقبل ويثاب عليه ، فإذا فقد الإخلاص لم يقبـل العمـل لقـول الله تعـالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[2] ، وقولـه تعـالى في الحـديث القـدسي: **(أنـا أغنـى الـشركاء عـن**

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ح ١٥٣.

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٢٣.

**الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)** [١].

وإذا فقدت المتابعة للرسول ﷺ رُدَّ العمل ولم يقبل لقوله ﷺ : **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)** [٢] ، وفي لفظ مسلم: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)** [٣] ويراد به في هذا اللفظ من فعل البدعة سواء أكان محدثاً لها ابتداء أم متابعاً فيها لغيره.

فالعمل يرد ولا يقبل إذا كان مبنياً على غير السنة ، حتى ولو كان خالصاً لله تعالى.

فعلى العبد أن يبذل وسعه في توفر الشرطين في جميع عباداته ، فيتحرى الإخلاص ويحذر الشرك ، ويتحرى متابعة السنة ويحذر البدعة والمخالفة.

**٢- الركن الثاني من أركان الإسلام هو إقام الصلاة :**

ومعنى إقامة الصلاة: التعبد لله تعالى بفعلها على وجه الاستقامة والتمام في أوقاتها وهيئاتها.

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله ، ح٢٩٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، ح٢٦٩٧ ، ومسلم ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور ، ح١٧١٨.

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور ، ح١٧١٨.

ويكون ذلك على حالتين:

إحداهما: واجبة ، وهو أداؤها على أقل ما يحصل به فعل الواجب وتبرأ به الذمة.

والثانية: مستحبة ، وهي تكميلها وتتميمها ، بالإتيان بكل ما هو مستحب فيها.

*** مكانة الصلاة :**

للصلاة مكانة عظيمة في الدين ، ومنزلة عالية في حياة المسلمين ، وقد دل على ذلك كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فمما جاء في أهميتها ومنزلتها العظيمة ما يلي:

١- أن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، فهي صلة بين العبد وربه.

٢- أن الصلاة عمود الإسلام ، كما جاء وصفها في حديث رسول الله ﷺ[1].

٣- أن الصلاة يحصل بها التمييز بين المسلم والكافر[2].

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٣١ ، والترمذي كتاب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة وقال: هذا حديث حسن صحيح ، ح٢٦١٦ ، وابن ماجة ح ٣٩٧٩ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح٥١٣٦.

(٢) لما أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ح ٨٢.

٤- أن الصلاة فرضت على رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وهو في السماء.

٥- أن الصلاة آخر ما يفقد من الدين[١].

٦- أن الصلاة أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله[٢].

٧- أن أهل سقر يجيبون عن أسباب دخولهم سقر بقولهم- كما أخبر الله تعالى عنهم - ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[٣].

٨- أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٤]، كما أنها سبب في انشراح الصدر وقرة العين.

٩- أن الصلاة آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي

---

(١) لما أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٦٥، والأخبار ٢/ ٢١٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣١٩ح ١٧٣٩.

(٢) أخرجه النسائي، كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، والطبراني في المعجم الكبير، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٢٨ح ١٧٤٨ و٣/ ٣٤٣ ح١٣٥٨.

(٣) سورة المدثر، الآية ٤٣.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه: (**الصلاة وما ملكت أيمانكم**)(١)، وفي حديث آخر: (فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه)(٢).

١٠- أن الله تعالى لما ذكر صفات المؤمنين في سورتي (المؤمنون) و(المعارج) بدأها بالصلاة وختمها بالصلاة، فقال في سورة (المؤمنون) ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾(٣)، وقال في آخرها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾(٤)، وقال في (سورة المعارج): ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾(٥)، وقال في آخرها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾(٦).

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ ح ١٦٢٥، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٢٧١ ح١٣١٧.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الوصايا، باب هل أوصى رسول الله ﷺ ح ٢٦٩٧ و٢٦٩٨ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٣/ ١٠٩، ١١٠ ح٢١٨٣ و٢١٨٤.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ١، ٢.

(٤) سورة المؤمنون، الآية ٩.

(٥) سورة المعارج، الآية ٢٢، ٢٣.

(٦) سورة المعارج، الآية ٣٤.

إلى غير ذلك من دلائل مكانتها الرفيعة ومنزلتها العظيمة.

*** وجوب أداء الصلاة على الرجال في المساجد :**

الصلوات الخمس واجبة لازمة لكل بالغ عاقل من الرجال والنساء ، ويجب على الرجال أداؤها جماعة في المساجد ، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١- ورود نصوص الكتاب والسنة بأدائها جماعة حال الخوف ، قال تعـــالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾[1] الآية ، وفي السنة وردت أحاديث متعددة تدل على أداء صلاة الخوف على أوجه مختلفة.

٢- قوله ﷺ: **(والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم...)**[2] الحديث.

٣- قوله ﷺ: **(إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر،**

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٠٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان ، باب وجوب صلاة الجماعة ح٦٤٤ ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة ، وبيان التشديد في التخلف عنها ح٦٥١.

ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)[1].

٤- قول ابن مسعود رضي الله عنه: (من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن؛ فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف)[2].

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي رجل أعمى ، فقال: يا رسول الله: إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد ، فسأل رسول الله ﷺ أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان ، باب فضل العشاء في الجماعة ح٦٥٧ ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة ، وبيان التشديد في التخلف عنها ح٦٥١.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ح٦٥٤.

يرخص له فيصلي في بيته ، فرخص له ، فلما ولى دعاه ، فقال: (**هل تسمع النداء ، بالصلاة؟**) فقال: نعم ، قال: (**فأجب**)[١].

٦- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال: (كنا إذا فقدنا الرجل في صلاة العشاء الآخرة والصبح أسأنا به الظن)[٢].

فالله الله أيها المسلم العاقل أن تفرط في إقامة الصلوات حيث ينادى بهن، واحرص على أدائهن على الوجه الأكمل في أوقاتهن في المساجد ، قبل أن يفاجئك هادم اللذات ومفرق الجماعات ، وقبل أن تعايش الغرغرة وشدة السكرات.

**٣- الركن الثالث من أركان الإسلام هو إيتاء الزكاة :**

ومعنى إيتاء الزكاة : التعبد لله تعالى ببذل القدر الواجب في الأموال الزكوية المستحقة.

وهي حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة ، في وقت مخصوص ، طاعة لله تعالى ، وتطهيراً للنفس والمال والمجتمع من البخل والطمع ، وسداً لحاجة الإسلام والمسلمين.

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء ح٦٥٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٢١١ ، وقال : ( صحيح على شرطهما) ووافقه الذهبي.

فالزكاة عبادة مالية نفعها متعد ، وقد أوجبها الله تعالى في أموال الأغنياء على وجه ينفع الفقير ، ولا يضر الغني؛ لأنها شيء يسير من مال كثير.

*** مكانة الزكاة :**

للزكاة مكانة عظيمة في الدين ، ومنزلة رفيعة عند المسلمين ، وأهمية كبيرة ، في المجتمعات ، ومن دلائل ذلك ما يلي:

١- أن الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة.

٢- أن الزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، كما قال جل وعلا: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾(١) ، وقال عز وجل: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾(٢) ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾(٣).

٣- أن الزكاة تطهر النفس من رذائل الأخلاق كالبخل والطمع والشح.

٤- أن في الزكاة سداً لحاجات الإسلام والمسلمين ، وفيها مواساة للفقراء والمحرومين.

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٥.

(٢) سورة التوبة ، الآية ١١.

(٣) سورة البينة ، الآية ٥.

٥- أن في الزكاة تآلفاً واجتماعاً للمسلمين ، بحيث يصبح المجتمع وكأنه أسرة واحدة.

٦- أن في الزكاة تنمية وتطهيراً للأموال.

٧- أن الزكاة سبب لنزول الخيرات ، كما أنها تمنع من الشرور كالسطو والسرقات.

٨- أن الزكاة تمنع أن يكون المال دولة بين الأغنياء ، وتحد من تضخمه بأيدي فئة معينة.

٩- أن في الزكاة إقامة للمصالح العامة ، التي تتوقف عليها قوة الأمة.

**٤- الركن الرابع من أركان الإسلام هو صيام رمضان:**

ومعنى صيام رمضان : التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات نهار رمضان.

ولهذا فهو يعرف بأنه : الإمساك بنية التعبد لله تعالى عن أشياء مخصوصة ، في زمن معين ، من شخص مخصوص بشروط خاصة.

فالصيام عبادة بدنية ، لا يصح إلا بنية، ومن طلوع الفجر إلى غروب الشمس، بشروط خاصة لا يصح الصيام إلا بها ، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٨٧.

*** مكانة الصيام :**

للصيام مكانة عظيمة في الدين ، ومنزلة عالية في حياة المسلمين ، ومن ذلك مايلي:

١- أن صيام رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام الخمسة.

٢- أن الصيام سر بين العبد وربه ، لا يطلع عليه إلا الله تعالى ، ولهذا ثبت في الحديث الصحيح أن العبد يجازى على عمله ، الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: **(إلا الصوم فإنه لي ، وأنا أجزي به)**[1] أي بغير حساب ، ومن المعلوم أن الأعمال كلها لله تعالى ، وإنما خصّ الصيام بأنه لله عز وجل لما فيه من خفاء هذه العبادة ، وأنه لا يطلع عليها إلا الله ، فمن الناس من يكون في نهار رمضان مفطراً وغيره يظن أنه صائم ، ومنهم من يكون صائماً في نفل ، وغيره يظن أنه مفطر.

٣- أن في الصيام ترويضاً للنفس على ترك المحبوبات؛ طلباً لمرضاة الله عز وجل ، كما أن فيه تعويداً على تحمل المسؤولية والمشقة.

٤- أن في الصيام وقاية من الانزلاق في الشهوات المحرمة.

٥- أن الصيام يربي على الرحمة والإحسان ، ويشعر المسلم بآلام

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصوم ، باب فضل الصوم ح١٨٤ ، ومسلم ، كتاب الصيام ، باب فضل الصيام ح ١١٥١.

إخوته في أي مكان.

**٥- الركن الخامس من أركان الإسلام هو حج بيت الله الحرام :**

ومعنى حج بيت الله الحرام : التعبد لله تعالى بقصد البيت الحرام للقيام بشعائر الحج.

ولهذا فهو يُعرّف بأنه: قصد البيت الحرام في زمن مخصوص ، بنية لأداء المناسك من طواف وسعي ووقوف بعرفة وغيرها.

والحج عبادة مالية بدنية ، أوجبها الله تعالى في العمر مرة واحدة.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وجاء في الحديث قوله ﷺ: (**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**) فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ (**لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم**)[2] .

والاستطاعة في الحج تكون بدنية ومالية ، ومن الاستطاعة في حق المرأة وجود المحرم؛ لثبوت الحديث في ذلك[3].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٩٧.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ح ١٣٣٧.

(٣) الحديث في البخاري: كتاب الجهاد ، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته ... ح٣٠٠٦. وفي مسلم ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ح١٣٤١.

* مكانة الحج :

للحج مكانة عظيمة في الدين ، ومنزلة رفيعة في الإسلام ، ومن ذلك ما يلي:

١- أن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام الخمسة.

٢- أن الحج يغفر ما سبقه من الذنوب ويهدم ما كان قبله من المعاصي ، فقد ثبت في الصحيح أن عمرو بن العاص لما أراد أن يبايع الرسول ﷺ على الإسلام أراد أن يشترط أن يُغفر له ، فقال له رسول الله ﷺ: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله)[١].

٣- أن الحاج يعود من حجه كيوم ولدته أمه ، قال ﷺ: (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)[٢] ، وقال ﷺ : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ح١٢١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المحصر ، باب قول الله تعالى ( فلا رفث ) ح١٨١٩. ومسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ح١٣٥٠.

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ح ١٣٤٩.

٤- أن في الحج ترويضاً للنفس على بذل المجهود المالي والبدني في طاعة الله تعالى؛ ولهذا كان الحج نوعاً من الجهاد في سبيل الله عز وجل، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل الأعمال، أفلا نجاهد؟ قال: (**لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور**)[1].

٥- الحج مناسبة عظيمة للتعارف والتعاون بين المسلمين، والتشاور بينهم، ومثال على الوحدة المطلوبة بين أصحاب الدين الحق؛ ليجتمعوا على الاعتصام بحبل الله تعالى، ويحذروا من التفرق والاختلاف.

هذه هي أركان الإسلام الخمسة، وأصوله العظيمة، وأسسه الرفيعة، إذا استقامت الأمة عليها، وعملت بمقتضاها أصبحت أمة طاهرة نقية عزيزة، تدين لله دين الحق، وتعامل الخلق بالعدل والصدق؛ لأن ما سواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأركان والأسس، وتصلح أحوال الأمة بصلاح أمر دينها، ويفوتها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها.

فعلى المسلمين أن يحرصوا على التمسك بهذه الأركان والعمل بمقتضاها، وتربية الناس عليها، فسيثمر ذلك بإذن الله تعالى قوة وعزة وتمكينا.

---

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور ح ١٥٢٠.

*** حكم تارك أركان الإسلام أو أحدها :**

إذا تـرك العبـد أركـان الإسـلام كلهـا أو بعـضها أو واحـداً منهـا جاحـداً لوجوبه؛ فإنه يكفر كفراً أكبر يخرج من ملة الإسلام.

فمن جحد الشهادتين ، فكفره واضح ، بإجماع المسلمين ، فالشهادتان هما الركن الأول من أركان الإسلام ، فلاحظ في الإسلام لمن أنكرهما أو أنكر واحدة منهما .

بل لا يتصور وجود من يقول بأنه مسلم وينكر الشهادتين أو إحداهما.

ولابد من الإيمان بهما ، اعتقاداً ، وقولاً ، وعملاً بمقتضاهما ، والتزماً بشروطهما ، وبعداً عن نواقضهما.

ومن جحد وجوب الصلاة؛ فإنه يكفر كفراً أكبر ، بإجماع أهل العلم ، ولو صلى؛ لإنكاره ما علم من الدين بالضرورة ، وتكذيبه لله ورسوله ، ويقتل لقوله ﷺ : (من **بدل دينه فاقتلوه**)[1] ، وتطبق عليه أحكام المرتد.

ومن جحد وجوب الزكاة؛ فإنه يكفر كفراً أكبر ، بإجماع أهل العلم ، ولو زكى ، ما دام جاحداً لوجوبها.

وكذلك من جحد وجوب الصيام أو الحج؛ فإنه يكفر ، وإن صام وحج؛

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ح٦٩٢٢.

لإنكاره ما هو من أصول الإسلام ، وما هو معلوم من الدين بالضرورة.

وكـذلك مـن جحـد تحـريم شيء مـن المحرمـات الظـاهرة ، المتـواتر تحريمها كالفواحش والظلم والخمر والربا ونحو ذلك.

وذلك بعد بلوغ الحجة ، وأما من لم تقم عليه الحجة ، مثل أن يكون حديث عهد بالإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة ، لم تبلغه فيها شرائع الإسلام أو نحو ذلك؛ فإنه يستتاب ، وتقام الحجة عليه؛ فإن أصر كفر حينئذ.

أما إذا ترك العبد العمل بأركان الإسلام أو بعضها أو واحداً منها ، مع إيمانه بوجوب جميع تلك الأركان ، وإقراره بوجوبها ، وعدم جحوده لشيء منها ، ففي حكمه تفصيل:

فأما الركن الأول ، الشهادتان؛ فإنه إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين ، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها ، وذلك أن الإيمان الباطن يستلزم الإقرار الظاهر ، وأن وجود الإيمان الباطن تصديقا وحبا وانقياداً بدون الإقرار الظاهر ممتنع ، ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به ، إلا إذا كان معذوراً؛ لكونه أخرس ، أو لكونه خائفاً من قوم إن أظهر الإسلام آذوه ، فهذا يمكن أن لا يتكلم مع إيمان في قلبه كالمكره على كلمة الكفر ، قال الله تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ

غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

فمن صدق بقلبه ، ولم يتكلم بلسانه مع القدرة ، لا يسمى مؤمناً ، ولا يعلق به شيء من أحكام الإيمان ، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فمن لم يقر ويتكلم بالشهادتين أو ترك واحدة منهما فهو كافر كفراً أكبر ، وإن زعم بأنه مصدق بقلبه ، فلو قيل بأن رجلاً يشهد أن محمداً رسول الله باطناً وظاهراً ، وقد طلب منه ذلك ، وليس هناك رهبة ولا رغبة يمتنع لأجلها ، فامتنع منها حتى قتل ، فهذا يمتنع أن يكون في الباطن يشهد أن محمداً رسول الله.

أما إذا أقر بالشهادتين ، ولكنه ترك الأركان الأربعة الأخرى الصلاة والزكاة والصيام والحج ، مع إيمانه بوجوبها وعدم جحودها ، وإنما تركها كلها كسلاً وتهاوناً ، فإنه يكفر كفراً أكبر يخرج من ملة الإسلام ويوجب الخلود في النار.

وذلك أن الإيمان قول وعلم ، ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ، ولا يصوم من رمضان ، ولا يؤدي لله زكاة ، ولا يحج إلى بيته ، فهذا ممتنع ، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة ،

---

(١) سورة النحل ، الآية ١٠٦.

لا مع إيمان صحيح.

ولهذا إنما يصف الله سبحانه بالامتناع من السجود الكفار، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1]، وقد ثبت في الحديث **(أنه إذا تجلى تعالى لعباده يوم القيامة سجد له المؤمنون، وبقي ظهر من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة مثل الطبق لا يستطيع السجود)**[2]، فإذا كان هذا حال من سجد رياء، فكيف حال من لم يسجد قط؟!

وأما إذا أقر بجميع أركان الإسلام وعمل بمقتضاها، إلا الصلاة تركها تهاوناً وكسلاً، مع اعتقاده وقوله بوجوبها؛ فإنه يكفر كفراً أكبر يخرج من ملة الإسلام ما دام تاركاً للصلاة بالكلية، ومصراً على عدم إقامتها، أو تاركا لها في الأعم الأغلب، لقول النبي ﷺ: **(بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة)**[3]، وقوله ﷺ: **(العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)**[4]،

---

(١) سورة القلم، الآية ٤٢، ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ) ح٧٤٣٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ح٨٢.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣٤٦، والترمذي، كتاب الإيمان ح٢٦٢١، والنسائي،

بل قال بعض أهل العلم المعتبرين بأنه لو ترك الصلاة في بعض الأوقات يكفر كفراً أكبر ، وإن صلى في الأعم الأغلب.

فالصلاة لها شأن عظيم ، فالواجب على كل مسلم ومسلمة المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها ، وأداؤها بطمأنينة ، والإقبال عليها والخشوع فيها ، وإحضار القلب لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1] ، والتهاون بالصلاة من المنكرات العظيمة ، ومن صفات المنافقين ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2].

ومن ترك الصلاة بعد البلوغ ، ونصح ، ولم يقبل النصيحة ، وأصر على تركها ، يرفع أمره إلى المحاكم الشرعية ، حتى تستتيبه ، فإن تاب وإلا قتل.

فحري بك أيها العاقل أن تراجع نفسك ، وتحاسبها على عمود الإسلام وأعظم الأركان بعد الشهادتين.

وأما الزكاة ، فإن تركها بخلاً أو تهاوناً مع قوله واعتقاده بوجوبها ، وعدم

---

كتاب الصلاة ١/ ١٨٧ ، والحاكم في المستدرك ١/ ٦ وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٢٢٦.

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان ١ ، ٢.

(٢) سورة النساء ، الآية ١٤٢.

إنكاره وجحوده لذلك؛ فإنه يعتبر بذلك فاسقاً، قد ارتكب كبيرة عظيمة من كبائر الذنوب، واستحق الوعيد الشديد على تركه الزكاة، وإن مات على ذلك فهو تحت مشيئة الله تعالى، وفي الدنيا تؤخذ منه الزكاة قهراً ويعزر، وتقاتل الطائفة المانعة لها.

وقد دل القرآن الكريم والسنة المطهرة المتواترة على أن تارك الزكاة يعذب يوم القيامة بأمواله التي ترك زكاتها، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1] وهذا الوعيد في حق من منع الزكاة وليس جاحداً لوجوبها؛ إذ أن جحد وجوبها كفر أكبر يخرج من الإسلام، وقد ذكر الرسول ﷺ مانع زكاة الذهب والفضة، وذكر عقوبته ثم قال: (**ثم يرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار**)[2] فهذا مانع الزكاة بخلاً وتساهلاً يعاقب على ذلك ثم يرى سبيله، فدل على عدم كفره؛ إذ لو كان كافراً لم يكن له سبيل إلى الجنة.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان ٣٤، ٣٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة ح٩٨٧.

وأما الصيام ، فإن تركه العبد تهاوناً وكسلاً مع إقراره بوجوبه ؛ فإنه فاسق، قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

وكذلك الحج من تركه تهاوناً وكسلاً ، لا جحوداً لوجوبه ، فإنه قد ارتكب إثماً عظيماً ، لكنه لا يكفر.

* * *

## الإيمـــان مفصلاً

**أركان الإيمان مجملة مع الأدلة :**

أركان الإيمان ستة هي:

**١- الإيمان بالله تعالى.**

**٢- الإيمان بملائكة الله تعالى.**

**٣- الإيمان بكتب الله تعالى.**

**٤- الإيمان برسل الله تعالى.**

**٥- الإيمان باليوم الآخر.**

**٦- الإيمان بالقدر خيره و شره.**

هذه الستة هي أركان الإيمان ، وأصوله العظام ، وهي أسس العقيدة الإسلامية ، وقد دل عليها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[1].

وقد جمعت هذه الآية خمسة من أركان الإيمان ، وجاء ذكر السادس

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٧.

منها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[١].

كذلك جاء ذكر أربعة منها في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[٢].

ومن السنة أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: **(الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، رسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)**[٣].

*** حكم من جحد أركان الإيمان أو شيئاً منها:**

هذه الأركان العظيمة قد اتفقت عليها الرسل والشرائع ونزلت بها كتب الله تعالى، ومن جحدها أو شيئاً منها فقد كفر كفراً أكبر، يخرج به من دائرة الإيمان ويصير به من الكافرين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا

---

(١) سورة القمر، الآية ٤٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة النساء، الآية ١٣٦.

بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾[1].

*** أركان الإيمان مفصلة :**

**الركن الأول : الإيمان بالله تعالى :**

الإيمان بالله هو أول أركان الإيمان وأعظمها ، وهو أساس للإيمان بكل ما يجب الإيمان به ، ومن لم يؤمن بالله لا يؤمن ببقية الأركان.

*** تعريفه :**

**الإيمان بالله:** هو الاعتقاد الجازم مع الإقرار والإذعان بوجود الله تعالى ، وأنه واحد في ربوبيته ، وألوهيته ، وكمال أسمائه وصفاته.

فالإيمان بالله تعالى هو التصديق والإقرار بوجود الله تعالى ، وأنه رب كل شيء ومليكه ، وأنه وحده الخالق المدبر المتصرف في الكون كله ، وأنه سبحانه وتعالى المستحق للعبادة وحده لا شريك له وأن كل معبود سواه باطل ، وأنه سبحانه متصف بصفات الكمال والجلال ، منزه عن كل نقص وعيب ، والقيام بمقتضى هذا الإقرار علماً وعملاً وإذعاناً.

---

(١) سورة النساء ، الآيات ١٥٠-١٥٢.

*** ما يتضمنه الإيمان بالله:**

تبين من خلال تعريف الإيمان بالله ، أنه يتضمن أربعة أمور ، هي:

١- الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى.

٢- الإيمان بربوبية الله تعالى وحده ، وانفراده بالربوبية (توحيد الله بربوبيته).

٣- الإيمان بألوهية الله تعالى وحده ، أي انفراده بالألوهية (توحيد الله بألوهيته).

٤- الإيمان بأن الله وحده متصف بالكمال ، منزه عن كل نقص (توحيد الله بأسمائه وصفاته).

ولا يمكن أن يتحقق الإيمان بالله ، الركن الأول من أركان الإيمان ، إلا بالإيمان بهذه الأمور الأربعة.

فمن لم يؤمن بوجود الله تعالى فليس بمؤمن ، ومن آمن بوجود الله تعالى ولم يؤمن بانفراده بالربوبية فليس بمؤمن ، ومن آمن بوجود الله وانفراده بالربوبية ولم يؤمن بانفراده بالألوهية فليس بمؤمن ، ومن آمن بوجود الله وانفراده بالربوبية والألوهية ، لكن لم يؤمن بأسمائه وصفاته فليس بمؤمن ، وهذا الأخير فيه من أهل العلم من يسلب عنه الإيمان بالكلية ، وفيه منهم من يسلب عنه كمال الإيمان.

هذا ما يتضمنه الركن الأول من أركان الإيمان الستة ، وهو الإيمان بالله

تعالى ، وسأذكر هذه المتضمنات بشيء من التفصيل فيما يأتي:

**١ - الإيمان بوجود الله تعالى :**

لقد دل على وجود الله تعالى: الشرع ، والفطرة ، والعقل ، والحس.

أما دلالة الشرع على وجود الله تعالى ، فإن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك ، وما جاءت به الرسل من شرائع الله تعالى والأحكام المتضمنة لجميع ما يصلح الخلق ، تدل على أن الذي أرسلها رب رحيم حكيم عليم بمصالح خلقه ، وكذلك ما جاءت به الكتب الإلهية من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها ، ولاسيما القرآن الكريم الذي أعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله ، كل ذلك يدل على أنها من رب عظيم قادر حكيم.

وأما دلالة الفطرة على وجود الله تعالى ، فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه ، من غير سبق تفكير أو تعليم ، وكثير من الناس الذين لم تنحرف فطرهم يؤمنون بوجود الله تعالى ، حتى البهائم العجم تؤمن بوجود الله ، ولا ينصرف المخلوق عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها.

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة الروم ، الآية ٣٠.

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: (... **وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً**)[١].

وقال ﷺ: (**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**)[٢] ، وفي رواية: (**ما من مولود يولد إلا وهو على الملة**).

فكل مولود يولد على إقراره بربوبية الله و محبته له وادعائه لفاطره بالعبودية، فلو خلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره ، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة ، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه؛ ولهذا قال ﷺ: (**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**) ولم يقل يسلمانه ، لأنه باق على الأصل ، فاعتناق غير الإسلام يعد خروجاً عن الأصل.

وليس المراد بكون المخلوق يولد على الفطرة أنه يولد عارفاً بأمور الإسلام؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾[٣] ، ولا أنه يولد ساذجاً لا يعرف شركاً ولا توحيداً ، وإنما

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ح٢٨٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين ح ١٣٨٥ ، ومسلم كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ح ٢٦٥٨.

(٣) سورة النحل ، الآية ٧٨.

فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام ، فالفطرة نفسها تستلزم الإقرار بوجود الخالق و محبته وإخلاص الدين له.

فالإنسان مفطور على اللجوء إلى الله تعالى عند الشدائد ، فإذا ما وقع الإنسان حتى الكافر ، في شدة ، أو أحدق به خطر ، فإذا الخيالات والأوهام تتطاير من ذهنه ، ويبقى ما فطر عليه ، ليصيح من عميق قلبه وقرارة نفسه؛ منادياً ربه؛ ليفرج كربته ، ويلجأ إليه وحده دون سواه.

وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى؛ فإن المخلوقات لابد لها من خالق أوجدها؛ إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ، ولا يمكن أن توجد صدفة بلا خالق.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم ، فكيف يكون خالقاً.

ولا يمكن أن توجد صدفة بلا خالق؛ لأن كل حادث لابد له من محدث؛ ولأن وجودها على هذا النظام البديع ، والتناسق المتآلف المنتظم ، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها ، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة؛ إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده ، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره.

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها ، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[1] ، أي أنهم لم يخلقوا من غير خالق ولا هم الذين خلقوا أنفسهم ، فتعين أن يكون خالقهم هو الله رب العالمين؛ ولهذا فإن جبير بن مطعم رضي الله عنه لما سمع رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور ومنها هذه الآية ، وكان جبير يومئذ مشركاً قال: (كاد قلبي أن يطير ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي)[2].

ويضرب بعض أهل العلم مثلاً لذلك بقوله: لو حدثك شخص عن قصر مشيد ، أحاطت به الحدائق ، وجرت بينها الأنهار ، وملئ بالفرش والأسرة ، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته ، وقال لك: إن هذا القصر ، وما فيه من كمال قد أوجد نفسه ، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد ، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه ، وعددت حديثه سفهاً من القول ، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه وأفلاكه وأحواله ونظامه البديع الباهر قد أوجد نفسه؟ أو وجد صدفه بدون موجد؟!

ولهذا لما قيل لأعرابي في البادية: بم عرفت ربك؟ قال: الأثر يدل على المسير ، والبعرة تدل على البعير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ، ألا تدل على السميع البصير؟!

---

(١) سورة الطور ، الآية ٣٥.

(٢) أخرجه البخاري ، في صحيحه ، كتاب التفسير ، ح٤٨٥٤.

وبهذا يتبين أن العقل يدل دلالة قطعية على وجود الله تعالى؛ ولهذا نجد أن العقلاء الجادين في بحثهم عن الحق، قديماً وحديثاً يصلون إليه.

أما دلالة الحس على وجود الله تعالى؛ فإن الحس يدل دلالة واضحة على وجود الله تعالى ووحدانيته، وذلك من عدة أوجه:

**أولها:** ما نسمعه ونشاهده من إجابة الداعين والمكروبين، الذين يدعون الله تعالى فيستجيب لهم، ويحصل لهم مطلوبهم، والأمثلة المعلومة في ذلك كثيرة، من ذلك ما أخبر الله تعالى به عن نوح عليه السلام بقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾[1]، كذلك ما ذكر الله تعالى عن يونس وأيوب عليهما السلام، وثبت في الصحيح عن رسولنا ﷺ: أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع لنا، فرفع النبي ﷺ يديه فدعا فثار السحاب كأمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: **(اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت)**[2]، وما زالت إجابة

---

(١) سورة القمر، الآيات ١٠-١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة ح١٠١٤ ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ح٨٩٧.

الداعين أمراً مشهوداً لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

**ثانيها**: ما شاهده الناس وسمعوا به من آيات ومعجزات الأنبياء ، فهي برهان قاطع على وجود مرسلهم ومؤيدهم وهو الله تعالى ، وآيات الأنبياء كثيرة معلومة.

**ثالثها**: دلالة الأنفس ، فإن نفس الإنسان من أعظم الأدلة على وجود الله تعالى ثم تفرده بالعبادة ، فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وصوره في أحسن صورة ، فلو تأمل العاقل نفسه وما فيها من عجائب خلق الله ، وأمعن النظر في عقله وروحه وبدنه وما في خلقته من ميزات عظيمة تميزه عن سائر الحيوانات لأيقن بوجود الرب الخالق الحكيم.

فلا شك أن النفس وتسويتها على ما هي عليه آية عظيمة من آيات الله الكونية الدالة على وجوده ووحدانيته؛ ولهذا أقسم الله بها بقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾[1].

**رابعها**: دلالة الآفاق؛ فإن ما في الآفاق من مخلوقات عظيمة متنوعة آيات دالة على وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى ، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات علم يقيناً أنها براهين ودلالات على وجوده سبحانه ، وعلم أنها مدبرات مسخرات ، ليس لها

---

(١) سورة الشمس ، الآية ٧.

تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها، وفي كل عصر من العصور يطلع الله عباده على آيات عظيمة في هذا الكون الفسيح، وصدق سبحانه وتعالى، إذ يقـــول: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]، فالله جل وعلا يري عباده من الآيات والبراهين في الأنفس والآفاق ما يدلهم على أن القرآن حق والرسول حق، وما جاء به هو الحق.

ومن يتأمل ما في الآفاق من دروس وعبر، وآيات وبراهين دالة على وجوده تعالى ووحدانيته، يرى مشهداً من مشاهد الحس الدالة على ذلك، ألا وهو هداية الله تعالى للمخلوقات إلى ما فيه صلاح معاشها وحالها، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[2].

وكذلك من الدلالات الحسية على وجود الله تعالى ووحدانيته، اختلاف الطعوم والألوان والروائح، فالماء ينزل على الأرض الجرداء ثم يخرج بإذن الله تعالى منها نباتات مختلفة في ألوانها وروائحها وطعومها، فمن الذي أودعها هذه المزايا المختلفة؟ إنه الله الواحد الأحد.

وأيضاً فإن اختلاف الألسن واللغات بين الناس، يدل دلالة واضحة على

---

(١) سورة فصلت، الآية ٥٣.

(٢) سورة طه، الآية ٥٠.

وجـود الله تعـالى ووحدانيتـه ، فمـن الـذي علـم الإنـسان البيـان والفهـم والمعرفة؟ ومن الـذي يعلـم تلـك اللغـات واللهجـات جميعـاً ، ويحـصي مـا يقـول العبـاد فـلا تختلط عليـه أقـوالهم ولا أفعـالهم ، إنـه الله العلـيم القـدير سبحانه وتعالى.

**٢- الإيمان بربوبية الله تعالى وحده (توحيد الربوبية) :**

*** تعريف توحيد الربوبية :**

**توحيد الربوبية:** هو الإقـرار الجـازم بـأن الله واحـد في أفعالـه ، كـالخلق والملك والتدبير ، والرزق والإحياء والإماتة ، إلى غير ذلـك مـن خـصائص الربوبية.

ومعنى ذلك أن توحيد الربوبية هو الإيمان بـأن الله وحـده خـالق العـالم ، والمتصرف وحده فيهم بعلمه وقدرته ، كما يشاء سبحانه ، وأنه مالـك الـدنيا والآخرة ، ورب العالمين جميعاً ، وبيده وحده الرزق والإحياء والإماتـة ، لا خالق غيره ولا رب سواه؛ ولهذا فإن توحيد الربوبية يعرف بجملـة مختـصرة بأنه (توحيد الله بأفعاله) ، فـلا ينـسب شيء مـن أفعالـه تعـالى إلى غـيره ، ولا يشرك معه فيها غيره.

*** ومن أدلة هذا التوحيد:**

قولـــه تعـــالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، وقولـــه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ

(١) سورة الفاتحة ، الآية ٢.

وَٱلْأَمْرُ ﴾[١] ، وقوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[٢] ، وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[٣]، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جداً.

*** إقرار الأمم بربوبية الله تعالى :**

الإقرار بربوبية الله تعال مركوز في الفطر ، فلا يكاد ينازع فيه أحد من الأمم؛ ولهذا فقد ذكر الله جل وعلا عن المشركين بأنهم يعترفون بربوبية الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[٤] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[٥] ، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٦] ، وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٥٤.

(٢) سورة فاطر ، الآية ١٣.

(٣) سورة الجاثية ، الآية ٢٧.

(٤) سورة يونس ، الآية ٣١

(٥) سورة الزخرف ، الآية ٨٧.

(٦) سورة الزخرف ، الآية ٩.

ولم ينكر ربوبية الله تعالى إلا شواذ من المجموعة البشرية ، ثم إنهم تظاهروا بإنكار الرب مع اعترافهم به في باطن أنفسهم وقرارة قلوبهم ، وإنما أنكروا ربوبية الله عز وجل عناداً واستكباراً ، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1] ، وذكر الله تعالى عن فرعون أنه قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[2] ، وقد قال له موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[3] ، وكذلك الدهرية أنكروا الرب مكابرة ، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[4]، فهم لم ينكروا عن علم دلهم على إنكاره لا من الشرع ولا من العقل ولا من الفطرة ولا من الحس ، بل كل هذه تدل على ربوبية الله عز وجل؛ ولهذا اضطرب الشذاذ المنكرون لربوبية الله تعالى ، فتارة يقولون وجد هذا العالم صدفة ، وتارة يقولون أوجدته الطبيعة ، ونحو ذلك من التذبذب والاضطراب الذي عاشه قلة من الناس قديماً وشواذ من أتباع المادية الملحدة المعاصرة.

---

(١) سورة النمل ، الآية ١٤.

(٢) سورة القصص ، الآية ٣٨.

(٣) سورة الإسراء ، الآية ١٠٢.

(٤) سورة الجاثية ، الآية ٢٤.

وكما لم يذهب إلى جحد ربوبية الله طائفة معروفة محددة من بني آدم ؛ فإنه كذلك ، في الغالب ، لم يقع فيه شرك إلا من بعض الشذاذ ، ثم أولئك الذي أشركوا في ربوبية الله تعالى ، لم يثبت عن أحد منهم أنه قال بوجود خالقين متساويين في الصفات والأفعال ، لا الثانوية من المجوس ، ولا المثلثة من النصارى ، ولا غيرهم.

والخلاصة أن ربوبية الله تعالى محل وفاق بين الناس ، وإنكارها أو الشرك فيها قليل.

*** الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي :**

الاعتراف بوجود الله تعالى ، والإقرار بربوبيته وحده لا شريك له في أفعاله ، وأنه وحده الخالق المالك المدبر الرازق المحيي المميت ، نوع عظيم من أنواع التوحيد ، إلا أنه لا يكفي العبد في حصول الإسلام ، والدخول فيه ، إلا أن يؤمن بأن الله تعالى وحده مستحق للعبادة ، لا شريك له في ذلك.

فمن أقر بتوحيد الربوبية فلا يعد مسلما حتى يأتي بلازمه وهو توحيد الألوهية ، فإن أكثر الأمم الكافرة كانت تقر بربوبية الله ، حتى مشركي العرب الذين بعث فيهم رسولنا صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك لم يكونوا بهذا الإقرار مسلمين ، لعدم إقرارهم بتوحيد الألوهية؛ ولهذا قاتلهم الرسول ﷺ وجاهدهم على الإيمان بتوحيد الألوهية.

والمتأمّل في آيات القرآن الكريم يجدها تطالب بتوحيد الألوهية وتستدل عليه بتوحيد الربوبية ، فهي تطالب المشركين بما جحدوه وتستدل عليه بما أثبتوه ، فهي تأمر بتوحيد الألوهية وتذكره في سياق الطلب ، وتخبر عن إقرارهم بتوحيد الربوبية وتذكره في سياق الخبر ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

فالتوحيد المطلوب من العباد هو توحيد الألوهية ، وهو معنى لا إله إلا الله ، وبهذا نعرف غلط من زعم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الربوبية ، وأن معنى لا إله إلا الله ، لا خالق إلا الله أو لا موجود إلا الله ، والمشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ فهموا أن معنى لا إله إلا الله الدعوة إلى توحيد الله بأفعال العباد؛ ولذلك امتنعوا عن قولها وقاتلوا الرسول ﷺ عليها.

**٣- الإيمان بألوهية الله وحده (توحيد الألوهية) :**

*** تعريف توحيد الألوهية :**

**توحيد الألوهية**: هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده المستحق للعبادة.

ومعنى ذلك أن توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ،

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ٢١ ، ٢٢.

كالدعاء والخوف والرجاء والتوكل والاستغاثة والذبح والنذر ، وغيرها من أنواع العبادة التي يجب إفراد الله تعالى بها ، فلا يصرف منها شيء لغير الله عز وجل ، ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً ، فضلاً عمن سواهما؛ ولهذا فإن توحيد الألوهية يعرف بجملة مختصرة بأنه (توحيد الله بأفعال العباد).

والألوهية معناها: العبادة ، والإله معناه : المعبود ؛ ولهذا سمي هذا النوع من التوحيد بتوحيد العبادة ، والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، وهذه كلها يجب أن تصرف لله وحده لا شريك له.

وتوحيد الألوهية تضمنته كلمة (لا إله إلا الله) ؛ فإنها تتضمن نفياً وإثباتاً ، نفي الألوهية الحقة عن كل ما سوى الله ، وإثباتها لله وحده ، كما تضمنت هذه الكلمة العظيمة ولاء لله وبراء مما سواه ، فمن قال لا إله إلا الله ، فقد أعلن البراءة من عبادة كل ما سوى الله ، والتزم القيام بعبادة الله تعالى وحده ، وذلك عهد يقطعه العبد على نفسه ، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

ولا يعد العبد مسلماً إلا إذا آمن بأن الله تعالى هو الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه ؛ لكونه خالق العباد والمحسن إليهم ، والقائم

---

(١) سورة الفتح ، الآية ١٠.

بأرزاقهم ، والعالم بسرهم وعلانيتهم ، والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم ، ولهذه العبادة خلق الله الإنس والجن وأمرهم بها.

* والأدلة على توحيد الألوهية كثيرة جداً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، بل إن القرآن الكريم كله في التوحيد وحقوقه وجزائه،وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

فمن أدلة توحيد الألوهية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١] ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٢] ، وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٣] ، وهذه الآيات تبين أن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب ، لبيان هذا التوحيد والدعوة إليه ، والتحذير مما يضاده.

ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[٤] ، وقوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[٥].

---

(١) سورة الذاريات ، الآية ٥٦.

(٢) سورة النحل ، الآية ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٢٥.

(٤) سورة الإسراء ، الآية ٢٣.

(٥) سورة الزمر ، الآيتان ٢ ، ٣.

ومـن الـسنة قولـه ﷺ: **(حـق الله عـلى العبـاد أن يعبـدوه ولا يـشركوا بـه شيئاً)**[١]، وقوله ﷺ: **(مـن مـات وهـو يعلـم أنـه لا إلـه إلا الله دخـل الجنـة)**[٢]، وقوله ﷺ: **(من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)**[٣]، إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

ولابـد أن يعلـم أن النـصوص الـشرعية الـواردة في فـضل لا إلـه إلا الله، تضمنت شروطاً، لابد من توفرها في العبد ليتحقق له الانتفاع بهذه الـشهادة وتحصيل ما رتـب عليهـا مـن فـضل وجـزاء؛ لأن الـشرع الحنيـف لم يجعـل ذلك الفضل حاصلاً بمجرد القول فقط، فإن المنافقين يقولونهـا بألـسنتهم، كما أن بعض الكفـار والمـشركين ينطقونهـا أيـضا ويخـالفون مـا تـضمنته في أقوالهم وأعمالهم، ويأتون في تصرفاتهم بما يناقضها.

وتلك الشروط التي استقرأها أهل العلم من النصوص الشرعية، هي:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ح٧٣٧٣، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ح٣٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ح٢٦.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ... ح ٢٣.

١- العلم المنافي للجهل ، أي العلم بمعنى الشهادة والمراد منها.

٢- اليقين المنافي للشك ، أي يكون قائلها مستيقناً بمعناها ومدلولها.

٣- القبول المنافي للرد ، بأن يكون قائلها قابلاً لما اقتضته قولاً وعملاً واعتقاداً.

٤- الانقياد المنافي للترك ، بأن يكون قائلها عاملاً بحقوقها ، أمراً ونهياً.

٥- الصدق المنافي للكذب ، بأن يقولها صادقاً من قلبه جازماً بها.

٦- الإخلاص المنافي للشرك ، بأن يخلص نيته لله تعالى صافية من شوائب الشرك.

٧- المحبة المنافية للبغض ، بأن يحبها ويحب أهلها ويواليهم ، ويبغض ما يناقضها.

٨- الكفر بما يعبد من دون الله تعالى ، بمعنى أن يتبرأ من عبادة غير الله ويعتقد أنها باطلة.

### ٤- توحيد الأسماء والصفات:

**تعريف توحيد الأسماء والصفات:** هو إثبات كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على وجه يليق بكماله وجلاله ، دون تكييف أو تمثيل ، وتنزيهه تعالى عن كل ما لا يليق به من صفات النقص التي نفاها عن نفسه أو نفاها عنه رسوله ﷺ ، دون تحريف أو تأويل أو تعطيل.

ومعنى ذلك أن يثبت العبد لله تعالى أسماءه الحسنى وصفاته العلا ، الواردة في كتابه العزيز ، أو الثابتة عن رسوله الأمين ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، بل يجب أن تمر كما جاءت بلا كيف ، مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة ، التي هي أوصاف لله عز وجل ، يجب وصفه بها على الوجه اللائق به ، من غير أن يماثل خلقه في شيء من صفاته ، وأن ينفي العبد عن الله تعالى ما نفي عنه من صفات النقص ، في الكتاب والسنة نفياً من غير تحريف ولا تعطيل.

ومما يجب أن يعلم أن نصوص الصفات من المحكم ، لا من المتشابه ، يقرؤها المسلمون ويتدارسونها ، ويفهمون معناها.

*** أدلة توحيد الأسماء والصفات:**

الأدلة في ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] ، وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] ، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3] ، وقوله:

---

(١) سورة الشورى ، الآية ١١.

(٢) سورة النحل ، الآية ٧٤.

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٨٠.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[1].

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة الواردة في أسماء الله تعالى على أمور عظيمة، منها:

١- أن جميع أسماء الله حسنى، قد بلغت الغاية في الحسن، فلا أحسن منها، لما تدل عليه من صفات الكمال ونعوت الجلال، فهي أحسن الأسماء وأكملها.

٢- أن أسماء الله تعالى توقيفية، فلا يجوز أن يسمى إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى.

٣- وجوب إثبات أسمائه تعالى الثابتة في الكتاب والسنة، واعتقاد ما تدل عليه من صفات كماله ونعوت جلاله، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل.

٤- وجوب احترام أسمائه تعالى من أن يسمى بها غيره.

٥- أن أسماء الله تعالى كثيرة، غير محصورة بعدد.

كما دلت نصوص الكتاب والسنة الواردة في صفات الله تعالى على أمور عظيمة، منها:

١- أن صفات الله تعالى توقيفية، كما أن أسماءه توقيفية، فلا يجوز أن

---

(١) سورة مريم، الآية ٦٥.

يثبت لله تعالى إلا ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله في سنته من الأسماء والصفات ، ولا ينفى عن الله إلا ما نفاه عن نفسه في كتابه أو نفاه عنه رسوله في سنته ، فلا يجوز أن يثبت لله أو ينفى عنه بمقتضي العقول والأفكار والاجتهادات.

٢- أن ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسولهﷺ فهو حق على ظاهره، يعرف معناه ، فالصفات تثبت ألفاظها ومعانيها وتفوض كيفياتها.

٣- أن إثبات الصفات لله تعالى هو إثبات بلا تمثيل ، فلا يجوز أن تمثل صفات الله جل وعلا بصفات المخلوقين ، فكما أن لله ذاتاً لا تشبه الذوات ، فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين.

٤- أن تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب هو تنزيه لا يفضي إلى التعطيل ، فلا يجوز تأويل معاني صفات الله أو تحريف ألفاظها عن مدلولها بحجة التنزيه ، فيجب تجنب التمثيل في مقام الإثبات ، وتجنب التعطيل في مقام التنزيه.

٥- أن طريقة الكتاب والسنة في إثبات الصفات لله تعالى ، ونفي النقص عنه ، هي أن النفي يأتي مجملاً والإثبات مفصلاً ، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [١] وغيرها من الآيات.

---

(١) سورة الشورى ، الآية ١١.

٦- أن كل نفي في صفات الله تعالى يتضمن إثبات ضده من الكمال ، فهو ليس نفياً محضاً ، لأن النفي المحض لا مدح فيه ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1] فهنا نفى الظلم وأثبت كمال العدل له سبحانه ، وهكذا سائر ما نفي عن الله تعالى.

*** العلاقة بين أنواع التوحيد :**

**- العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة هي الآتي:**

توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات مستلزمان لتوحيد الألوهية ، وتوحيد الألوهية متضمن لهما.

وتوضيح ذلك: أن من أقر بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، فإنه يلزمه أن يقر بتوحيد الألوهية ، وإلا فإن إقراره بهما لا يدخله في الإسلام؛ فإن الكفار الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ قد أقروا بهما إجمالاً فلم يدخلهم إقرارهم بهما في الإسلام ، بل قاتلهم النبي ﷺ حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له؛ ولهذا يأتي كثيراً في القرآن تقرير توحيد الربوبية الذي أقر به الكفار،لإلزامهم بالإقرار بتوحيد الألوهية ، فمن اختص بالخلق والملك والتدبير وكمال الأسماء والصفات يجب أن يخص بالعبادة وحده ، وكيف يعقل أن يكون للمخلوقات التي كانت عدماً ، وقد أوجدها الله تعالى

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٤٩.

نصيب من العبادة ، وهي مخلوقة مربوبة لله تعالى.

وأما من أقر بتوحيد الألوهية؛ فإنه يكون ولابد مقراً بتوحيد الربوبية وبتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن من أقر بأن الله تعالى هو المعبود وحده ، وخصه بالعبادة ، ولم يجعل له شريكاً فيها ، فلابد أن يكون قد اعتقد أنه هو الرب الخالق المالك المتصرف وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وأنه منزه عن كل نقص.

والربوبية والألوهية تارة يذكران معاً ، فيفترقان في المعنى ، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾[1] فيكون معنى الرب هو الخالق المالك المتصرف ، ويكون معنى الإله: المعبود بحق وحده ، وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر ، فيجتمعان في المعنى ، كما في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[2] ، أي إلهنا ومعبودنا ، وكما في قول الملكين للميت في القبر: (من ربك) أي من إلهك وخالقك الذي تعبده.

هذا هو الأصل الأول من أصول الإيمان ، وهو أولها وأعظمها ، فعلى كل إنسان أن يتعلم (الإيمان بالله تعالى) وما يتضمنه من مسائل عظيمة ،

---

(١) سورة الناس ، الآيات ١-٣.

(٢) سورة الحج ، الآية ٤٠.

ويتدبره ، ويعمل بمقتضاه ، فمن فعل ذلك فقد حقق الغاية التي من أجلها خلقه الله تعالى ، فيصبح ويمسي وهو لا يتعلق بغير الله رجاء ولا خوفاً ، فيعظم الله في قلبه ويورث له كمال محبته تعالى بمعرفته بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وبذلك تحصل له السعادة والطمأنينة والأمن في الدارين ، فيشعر في هذه الحياة بالعزة والكرامة والمنعة ، وبذلك يصبح المجتمع كله سعيداً آمناً مطمئناً ، ما دام أفراده عارفين بربهم حق المعرفة ، ومعظمين له حق التعظيم ، مذعنين لألوهيته وشرعه حق الإذعان والاتباع.

* * *

## الركن الثاني
## الإيمان بملائكة الله تعالى

### * تعريف الملائكة :

**لغـة :**

الملائكة جمع مَلَك ، وأصله مَأْلَك ، بتقديم الهمزة من الأَلُوك والألوكة، وهي الرسالة ، ثم قلبت وقدمت اللام ، فقيل: ملأك ، ثم تركت الهمزة تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال فقيل: ملاك وملك ، فلما جمع ردت إليه الهمزة فقيل ملائكة؛ فيكون معنى الملك: الرسول ، والملائكة: الرسل ، وهم حقاً كذلك كما جاء وصفهم في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[1] ، وقوله: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾[2].

وقيل أصله: المَلْك ، بمفتح الميم وسكون اللام ، وهو الأخذ بقوة.

**شرعاً :**

الملائكة: عالم غيبي خلقهم الله من نور ، وجعلهم طائعين متذللين له ، رسلاً في تنفيذ أمره تعالى ، الكوني والشرعي ، فلكل منهم وظائف خصه

---

(١) سورة فاطر ، الآية ١.

(٢) سورة المرسلات ، الآية ١.

الله بها.

*** المراد بالإيمان بالملائكة:**

هو الإقرار الجازم بأن لله ملائكة ، لهم فضل ومكانة عند الله ، خلقهم لعبادته وتنفيذ أوامره ، وأنهم أصناف ، ولهم أوصاف ، وأعمال يقومون بها حسبما ورد بالكتاب والسنة.

*** وجوب الإيمان بالملائكة ومنزلته في الدين:**

يجب الإيمان بالملائكة ، وهو ركن من أركان الإيمان ، ولا يتم الإيمان بالله وكتبه ورسله إلا بالإيمان بالملائكة ، ولا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بهم ، ومن أنكر وجودهم فقد كفر ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[1] ، وغير ذلك من الأدلة السابق ذكرها؛ عند ذكر أركان الإيمان مجملة.

والإيمان بالملائكة يتضمن الإيمان بهم جملة وتفصيلاً.

**أما الإيمان بهم جملة:**

فيجب على العبد أن يعتقد اعتقاداً جازماً بوجود الملائكة ، وأن الله خلقهم لطاعته وتنفيذ أوامره ، وأنهم عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٣٦.

بأمره يعملون.

**وأما الإيمان بهم تفصيلاً، فيتضمن:**

١- الإيمان بوجودهم وعلو مكانتهم.

٢- الإيمان باسم ما ورد اسمه منهم في الكتاب أو السنة.

٣- الإيمان بما ثبت في أوصافهم.

٤- الإيمان بأعمالهم ووظائفهم.

*** الأوصاف العامة للملائكة:**

ثبت في الكتاب والسنة أوصاف كثيرة للملائكة، وصفوا بها كلهم، ومن ذلك:

١- كثرة عددهم: الملائكة عدد كثير، لا يحصيهم إلا الله تعالى، دل على ذلك قوله جل وعلا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1]، وفي حادثة الإسراء والمعراج قال ﷺ: (**فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم**)[2]، أي كل يوم يأتي إليه سبعون ألف ملك غير الذين أتوه بالأمس، ولا يعودون له أبداً، ثم يأتي إليه ملائكة آخرون غير

---

(١) سورة المدثر، الآية ٣١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ح٣٢٠٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات ح١٦٤.

من سبق ، وجاء في الحديث قوله ﷺ : **(أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما من موضع أربعة أصابع منها؛ إلا وملك قائم لله أو راكع أو ساجد)**[١] ، والأطيط هو الصرير؛ فعلى سعة السماء فيها هؤلاء الملائكة.

٢- أن لهم أجنحة ، كما قال تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[٢] ، وثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[٣].

٣- علو منزلتهم ، وفضلهم وشرفهم ، فقد أضافهم الله تعالى إليه إضافة تشريف ، مثل قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾[٤] ، وقرن سبحانه شهادتهم مع شهادته بقوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[٥] وغير ذلك من دلائل كثيرة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٧٣ ، والترمذي في سننه ، كتاب الزهد ، باب قوله ﷺ: **(لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً...)** ، وابن ماجة في كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء ح ٤١٩٠ ، وذكره الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٠٧ ح٣٣٧٨.

(٢) سورة فاطر ، الآية ١.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير باب (فكان قاب قوسين أو أدنى) ح٤٨٥٦ ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى ح١٧٤.

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٥٦.

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٨.

٤- مداومتهم على الطاعة والتسبيح وتنفيذ أوامر الله، قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١]، وقال: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٢].

٥- أنهم مخلوقون من نور، قال ﷺ: **(خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)**[٣].

٦- أن لهم قوة وبأساً عظيماً، ومن ذلك قوله ﷺ: **(يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)**[٤].

٧- أن الملك قد يتحول بأمر الله تعالى إلى هيئة بشر، كما قال تعالى في قصة مريم: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٥]، وكما في قصة جبريل عليه السلام عندما جاء بصورة رجل، ليعلم الصحابة أمور دينهم[٦]، وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم ولوط عليهما الصلاة

---

(١) سورة التحريم، الآية ٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٠.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة ح٤٨٥٦.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جنهم، وبعد قعرها، وما تأخذه من المعذبين ح٢٨٤٢.

(٥) سورة مريم، الآية ١٧.

(٦) سبق تخريجه.

والسلام ، كانوا على هيئة بشر ، وغير ذلك.

*** أنواع الملائكة وأسماؤهم وما وُكلوا به:**

الملائكة بالنسبة إلى الأعمال التي وُكلوا بها أنواع وأصناف:

١- فمنهم حملة العرش ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾[١] ، وقال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[٢].

٢- ومنهم المقربون ، قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٣].

٣- ومنهم الموكلون بالجنة وإعداد الكرامة لأهلها ، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[٤] ، وقد ورد أن اسم خازن الجنة رضوان ، إلا أن هذا لم يثبت بنص صحيح.

٤- ومنهم الموكلون بالنار ، وتعذيب أهلها ، وهم الزبانية ، ومقدموهم تسعة عشر ، وخازنها مالك ، وهو مقدم الخزنة ، قال تعالى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ

---

(١) سورة غافر ، الآية ٧.

(٢) سورة الحاقة ، الآية ١٧.

(٣) سورة النساء ، الآية ١٧٢.

(٤) سورة الزمر ، الآية ٧٣.

عَشَرَ ﴾[١]، وقـال سـبحانه: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾[٢]، وقـــال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾[٣]، وقـال: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٤].

٥- الموكلون بحفظ بني آدم في الدنيا، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[٥]، أي معه ملائكة يحفظونه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه.

٦- الموكلون بحفظ أعمال العباد وكتابتها، قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[٦]، وقـال سـبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾[٧]، وقـال ﷺ:

---

(١) سورة المدثر، الآية ٣٠.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٧٧.

(٣) سورة غافر، الآية ٤٩.

(٤) سورة التحريم، الآية ٦.

(٥) سورة الرعد، الآية ١١.

(٦) سورة ق، الآيتان ١٧، ١٨.

(٧) سورة الانفطار، الآيتان ١٠، ١١.

**(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)**[١] ، فمع العبد ملائكة يحفظون عليه أعماله وما يصدر منه ، ويحفظونه من المؤذيات.

٧- الموكلون بالرحم وشأن النطفة ، قال ﷺ: **(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقي أو سعيد)**[٢].

٨- الموكلون بقبض الأرواح ، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٣] ، وقال : ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[٤] ، فملك الموت له أعوان من الملائكة يستخرجون روح العبد من جسمه ، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت ، وقد ورد في بعض الآثار أن اسمه عزرائيل ، إلا أن هذا لم يثبت بنص صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، ح٥٥٥ ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ح٦٣٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ح٣٢٠٨ ، ومسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ح٢٦٤٣.

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٦١.

(٤) سورة السجدة ، الآية ١١.

٩- الموكلون بالوحي وتدبير أمر الله الشرعي الذي تنزل به على الرسل من البشر، قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾[١]، وقال: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾[٢]، وأعظمهم جبريل عليه السلام، وهو أمين الوحي، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[٣]، وقال: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾[٤].

١٠- الملائكة الموكلون بسؤال الميت إذا وضع في قبره، وهما اثنان، يسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟، قال ﷺ: (**العبد إذا وضع في قبره ولى وذهب أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ..**)[٥]، وقد رد في بعض الروايات أن اسمي الملكين: منكر ونكير[٦].

---

(١) سورة النحل، الآية ٢.

(٢) سورة الحج، الآية ٧٥.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان ١٩٣، ١٩٤.

(٤) سورة النحل، الآية ١٠٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال ح١٣٣٨، ومسلم، كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، ح٢٨٧٠.

(٦) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، وقال حديث حسن

١١- ومنهم ملائكة سياحون في الأرض ، يلتمسون حلق الذكر ، قال ﷺ: (**إن لله ملائكة يطوفون في الطرقات يلتمسون أهل الذكر؛ فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله نادوا هلموا إلى حاجتكم..**)[1].

١٢- ورد في الآثار أن ميكائيل موكل بالقطر والنبات ، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور ، وهو أيضاً أحد حملة العرش ، وقد كان رسول الله ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح في صلاة الليل: (**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**)[2] ، فالرسول ﷺ توسل إلى الله تعالى بربوبيته العامة ، وبربوبيته الخاصة لهؤلاء الثلاثة من الملائكة ، الموكلين بما فيه حياة ، فجبريل موكل بالوحي الذي فيه حياة القلوب

---

غريب ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١/ ٢٥٩ ، وفي السلسلة الصحيحة ح١٣٩١.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل ، ح٦٤٠٨ ، ومسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل مجالس الذكر ح٢٦٨٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح٧٧٠.

والأرواح ، وميكائيل موكل بالقطر والنبات الذي فيه حياة الأرض والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور ، وذلك فيه حياة الأجساد يوم المعاد ، فسأل الرسول ربه بربوبيته العامة وربوبيته الخاصة للملائكة الموكلين بالحياة أن يهديه للحق والصراط المستقيم ، وفي ذلك الحياة النافعة.

والمقصود أن الله وكل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة يدبرون شؤونهما ، بإذنه وأمره ومشيئته ، كما وكل لبعضهم أعمالاً خاصة ، بالإضافة إلى مداومتهم على عبادة الله وطاعته بلا انقطاع ولا فتور ، كما ذكر الله تعالى عنهم قولهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾[1].

هذا هو الركن الثاني من أركان الإيمان ، فعلى العبد أن يحرص على العناية به ومعرفته وما يتضمنه من أمور عظيمة ، وبذلك يعرف عظمة الله تعالى وقوته وسلطانه؛ فإن عظمة المخلوقات ، ومنها الملائكة تدل على عظمة خالقها وموجدها سبحانه وتعالى ، ومن تأمل ذلك عرف عظم نعم الله تعالى على عباده ، فأورثه شكر الله جل وعلا على عنايته بهم ، حيث وكل من الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم ، ورعاية ما فيه مصالحهم.

* * *

(١) سورة الصافات ، الآيات ١٦٤ - ١٦٦.

## الركن الثالث
## الإيمان بكتب الله تعالى

*** تعريف الكتب :**

**لغة** : الكتب جمع كتاب ، بمعنى مكتوب ، أي مجموع ، وذلك أن أصل الكلمة من الفعل كتب ، أي جمع شيئاً إلى شيء ، ومنه سمي الكتاب كتاباً؛ لأنه جمع الأحرف والكلمات والأسطر ، ونحو ذلك.

**شرعاً** : الكتب: هي الكتب التي أنزلها الله عز وجل على رسله عليهم الصلاة والسلام ، ليبلغوها إلى خلقه ، رحمة بهم وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

*** المراد بالإيمان بالكتب :**

هو الإقرار الجازم بأن الله تعالى أنزل كتباً على أنبيائه ورسله؛ لبيان حقه تعالى والدعوة إليه ، وأن تلك الكتب حق وصدق، وأنها كلام الله عز وجل، فيها الهدى والنور والسعادة والكفاية لمن أنزلت عليهم.

*** وجوب الإيمان بالكتب ومنزلته في الدين:**

يجب الإيمان بكتب الله تعالى ، وهو الركن الثالث من أركان الإيمان ، لا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بها جميعاً ، ومن أنكرها أو بعضها فقد كفر

بـالله العظـيم ، قـال تعـالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[1].

* حاجة الناس إلى كتب الله تعالى :

إنزال الكتب من رحمة الله تعالى بعباده؛ لحاجة البشرية إليها؛ لأن عقل الإنسان محدود ، لا يدرك تفاصيل النفع والضرر ، وإن كان يدرك الفرق بين الضار والنافع إجمالاً.

والعقل البشري تغلب عليه الشهوات ، وعرضة للشبهات ، وتؤثر عليه الأغراض والأهواء والعواطف ، فلو وكلت البشرية إلى عقولها لضلت وتاهت؛ فاقتضت حكمة الله تعالى ورحمته أن ينزل هذه الكتب على المصطفين من رسله؛ ليبينوا للناس ما تدل عليه هذه الكتب ، وما تتضمنه من أحكام الله العادلة ووصاياه النافعة ، وأوامره ونواهيه الكفيلة بإصلاح البشرية ، قال تعالى حين أهبط آدم إلى الأرض: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] ، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٣٦.

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٨.

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٣٥.

*** ما يتضمنه الإيمان بكتب الله تعالى:**

الإيمان بكتب الله تعالى يتضمن الإيمان بها جملة وتفصيلاً.

**أما الإيمان بها جملة:**

فيجب على العبد أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله تعالى أنزل على أنبيائه ورسله كتباً، وأنها حق مشتملة على ما فيه سعادة من أنزلت إليهم، وأن من أخذ بها سلم وظفر، ومن أعرض عنها خاب وخسر.

**وأما الإيمان بها تفصيلاً**، فيتضمن:

١- الإيمان بأن الله تعالى أنزل على كل رسول كتاباً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[2]، فهذا يدل على أن الله تعالى أنزل على كل نبي كتاباً، لكننا لا نعرف كل الكتب، فالعبد يجب عليه أن يؤمن بكل كتاب أنزله الله تعالى على الرسل، يؤمن به إجمالاً وإن لم يعلم به.

٢- الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، والذي نعرفه منها: صحف إبراهيم وموسى، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، فهذه ستة، إلا

---

(١) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٣.

أن بعض أهل العلم يرى أن صحف موسى هي التوراة ، فيكون عددها عندئذ خمسة:

- صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام ، أي أنزلت عليهما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

- التوراة أنزلت على موسى ، عليه السلام ، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[2].

- الزبور أنزل على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[3].

- الإنجيل أنزل على عيسى عليه السلام ، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[4].

- القرآن الكريم أنزل على رسولنا محمد ﷺ ، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[5] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾

---

(١) سورة الأعلى ، الآيتان ١٨ ، ١٩.

(٢) سورة المائدة ، الآية ٤٤.

(٣) سورة النساء ، الآية ١٦٣.

(٤) سورة المائدة ، الآية ٤٦.

(٥) سورة الإسراء ، الآية ١٠٦.

فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾[1].

٣- أن الكتب السابقة كانت لآجال معينة ولأوقات محددة، ووكل الله حفظها إلى الذين استحفظوا عليها من البشر، أما القرآن الكريم فقد أنزله الله تعالى لكل الأجيال من الأمم وتولى حفظه بنفسه.

٤- تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن الكريم، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

٥- العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها.

٦- الإيمان بأن جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[2]، أي حاكماً عليه؛ وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة؛ إلا ما صح منها وأقره القرآن.

٧- الإيمان بأن اليهود والنصارى حرفوا كتبهم التي أنزلها الله عليهم، قال تعالى عن اليهود: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[3]،

---

(١) سورة الواقعة الآيات ٧٧ - ٨٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٣) سورة النساء، الآية ٤٦.

وقال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1]، فاليهود والنصارى عملوا على لبس الحق بالباطل، وتحريف الكلم في ألفاظه ومعانيه عن مواضعه الحقة، محاولين كتمان الحق وإخفاءه.

٨- أن القرآن الكريم وكتب الله تعالى كلها، من كلام الله عز وجل، تكلم بها حقيقة؛ فالله متصف بصفة الكلام أزلاً وأبداً، فلا بداية لكلامه ولا نهاية له، وصفة الكلام صفة ذاتية فعلية، وكلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد.

فالقرآن الكريم من كلام الله تعالى، وصحف إبراهيم وموسى، والتوراة، والزبور، والإنجيل، وكل كتاب أنزله الله تعالى فهو من كلامه، وكلامه غير مخلوق، فلا يحصل له الفناء الذي يحصل للمخلوقات.

*** القرآن الكـريم :**

القرآن الكريم هو خاتم كتب الله تعالى وأفضلها، وهو المهيمن عليها، والمصدق لها، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه، مع ما صحت به السنة عن رسول الله ﷺ؛ لأن الله سبحانه وتعالى بعث رسوله محمداً ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين، وأنزل عليه القرآن؛ ليحكم به بينهم،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٧١.

وجعله شفاء لما في الصدور، وتبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة للمؤمنين.

فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد بن عبدالله ﷺ، المتعبد بتلاوته.

فمن أدلة كونه كلام الله تعالى، قوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾(١).

ودليل كون القرآن منزلاً قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢)، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣).

**ومما يمتاز به القرآن الكريم على غيره من الكتب السابقة:**

١- أنه يجب الإيمان به تفصيلاً، فتصدق أخباره، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه، ويتعبد الله تعالى بتلاوته، طبقاً لما جاء فيه وفي سنة رسول الله ﷺ.

٢- أنه المعجزة الخالدة، التي تُحدِّي أهل الفصاحة والبلاغة على أن يأتوا بسورة مثله، فعجزوا، ولن يستطيعوا، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ

---

(١) سورة التوبة، الآية ٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.

(٣) سورة النحل، الآية ٨٩.

﴿ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

٣- أن الله تعالى تكفل بحفظه وسلامته من التحريف والزيادة والنقصان، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2]، وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3].

٤- أنه نزل منجماً مفرقاً، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[4].

٥- كونه مهيمناً على الكتب السابقة، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[5]، فالقرآن الكريم مؤتمن وشاهد على ما قبله من الكتب، ومصدق لها، فهو يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التغيير.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩.

(٣) سورة فصلت، الآيتان ٤١، ٤٢.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٣٢.

(٥) سورة المائدة، الآية ٤٨.

٦- القرآن الكريم خلاصة الأحكام الإلهية ، وزبدة الكتب السماوية ، أنزله الله تعالى على رسوله للناس كافة ، فيجب على الناس جميعاً أن يتبعوه ويعملوا به ، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[١]. وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟﴾[٢].

*** إضافة القرآن الكريم إلى الله تعالى :**

يضاف القرآن الكريم إلى الله تعالى؛ لكونه كلامه حقيقة تكلم به سبحانه وتعالى وأنزله على رسوله ﷺ ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٣] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[٤] ، وقوله: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٥] ، فالله جل وعلا تكلم به وأحكم آياته عن الباطل والتناقض والنسخ ، وفصلها وبينها.

وقد أضيف القرآن الكريم إلى جبريل عليه السلام ، وذلك في قوله تعالى:

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٩.

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٥٥.

(٣) سورة التوبة ، الآية ٦.

(٤) سورة النساء ، الآية ٨٧.

(٥) سورة هود ، الآية ١.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾[1].

ووجه إضافته إلى جبريل عليه السلام؛ لكونه بلغه عمن أرسله به، وهو الله تعالى، لا أنشأه جبريل من جهة نفسه، فالإضافة إليه إضافة تبليغ؛ ولهذا وصف بالآية بأنه (رسول) والرسول هو المبلغ عن مرسله، وأيضاً وصف الرسول في الآيات بأنه أمين، فدل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسل بتبليغه، ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أرسل به، يبلغه عن مرسله، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[2].

وكذلك أضيف القرآن الكريم إلى الرسول محمد ﷺ، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾[3].

ووجه إضافته إلى الرسول ﷺ؛ لكونه مبلغاً عن الله تعالى، فهو ﷺ يبلغ

---

(١) سورة التكوير، الآيات ١٩ - ٢١.

(٢) سورة الشعراء، الآيات ١٩٢ - ١٩٤.

(٣) سورة الحاقة، الآيات ٣٨ - ٤٧.

القرآن عمن أرسله به؛ ولهذا وصف بالآية بأنه (رسول) ، والرسول هو المبلغ عن مرسله ، فكما أنه أضافه في الآيات السابقة إلى جبريل عليه السلام ، وفي هذه الآية أضافه إلى محمد ﷺ ؛ فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ؛ إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر ، ولهذا قال بعد إضافته إلى الرسول: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ؛ ليدل على أن الله تعالى تكلم به وأنزله ، والرسول يبلغه عن الله ، ثم قال بعدها: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ الآيات ، والمراد لو قدر أن الرسول – حاشا وكلا – تقوّل على الله ، لعاجله الله بالعقوبة.

وبهذا يعلم أن إضافة القرآن الكريم إلى جبريل عليه السلام وإلى محمد ﷺ هي إضافة تبليغ ، والكلام كلام من قاله مبتدئاً ، لا من قاله مبلغاً.

*** الوحـي وأنواعه :**

**- تعريف الوحي :**

**لغة:** الإعلام الخفي السريع.

**شرعاً:** كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه عليهم السلام.

ويطلق الوحي في الشرع ، ويراد به: إعلام الله من اصطفاهم من عباده كل ما أراد اطلاعهم عليه من ألوان العلم والهداية بطريقة خفية في الغالب.

*** أنواع الوحي:** قد يكون الوحي إلى الأنبياء بواسطة ، وقد يكون بغير

واسطة؛ ولكل أنواعه.

**أنواع الوحي بواسطة:**

١- أن يأتي الملك مثل صلصلة الجرس.

٢- أن يأتي الملك في هيئته التي خلقه الله عليها.

٣- أن يأتي الملك في صورة بشر.

**أما أنواع الوحي بغير واسطة ، فهي:**

١- كلام الله تعالى لنبيه من وراء حجاب ، حال اليقظة.

٢- الرؤيا الصالحة في المنام.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (١).

هذا هو الركن الثالث من أركان الإيمان ، وكل من اعتنى به وتأمله عرف عظيم عناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً لهم يهديهم به ويدلهم على كل ما فيه سعادتهم ، كما يعرف حكمة الله العظيمة ، في شرعه ، حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم ، ثم لما كان محمد خاتم الأنبياء والرسل جعل شريعته للناس كافة ، فالحمد لله على نعمائه والشكر له تعالى على فضائله التي لا تعد ولا تحصى.

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٥١.

## الركن الرابع
## الإيمان برسل الله تعالى

* تعريف النبي:

لغة : النبي في اللغة مشتق من النبأ ، وهو الخبر ، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾[١] ، أي عن الخبر العظيم ، ولهذا سمي النبي نبياً؛ لأنه مخبر من الله تعالى ، قال سبحانه: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٢]؛ ولأنه مخبر عن الله تعالى ، قال سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣].

وقيل النبي مشتق من النَّبْوة والنَّباوة ، وهي المكان المرتفع من الأرض ، والذي يعد علماً يُهتدى به ويُستدل؛ ولهذا سمي النبي نبياً؛ لأنه ذو رفعة واصطفاء ، وهو علم يهتدى بما جاء به ويقتدى به.

وقال بعض أهل اللغة : النبي هو الطريق؛ ولهذا سمي النبي نبياً ، على هذا المعنى؛ لأن النبي هو طريق للنجاة في الدنيا والآخرة ، بما جاء به من

---

(١) سورة النبأ ، الآيتان ١ ، ٢.

(٢) سورة التحريم ، الآية ٣.

(٣) سورة الحجر ، الآية ٤٩.

دين الله تعالى.

والمعاني الثلاثة موافقة للمعنى الشرعي ، فالأنبياء مخبرون من الله تعالى ومخبرون عنه سبحانه ، وهم أرفع البشر مكانة ومنزلة فهم أعلام يستدل بهم على الحق بما جاؤوا به عن الله تعالى ، وهم طرق الهدى وسبل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

* شرعـاً :

النبي: هو إنسان ذكر حر أوحي إليه بشرع في قوم مؤمنين يعرفون الحق، تابع لشرع من قبله في الغالب.

* تعريف الرسول :

لغة : الرسول في اللغة مشتق من الإرسال ، وهو البعث والتوجيه ، قال تعالى مخبراً عن قول ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾[1] ، فمن بعث ووجه بإبلاغ شيء ، فهو رسول ، في اللغة ؛ ولهذا سمي الرسول رسولاً؛ لأنه موجه ومبعوث من الله تعالى؛ ليبلغ رسالته وتشريعه.

ويأتي الإرسال من المتابعة ، فالرسول هو الذي يتابع أخبار من بعثه ، تقول العرب: جاءت الإبل رسلا ، أي متتابعة ، وفي التنزيل يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾[2] ، فالرسل يأتون من الله تعالى متتابعين ، وهم

---

(١) سورة النمل ، الآية ٣٥.

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٤٤.

يتابعون الرسالة ، بحملها وتبليغها.

كما يأتي الإرسال بمعنى الإطلاق والتخلية ، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[1] ، وبهذا المعنى سمي الرسول رسولاً؛ لأنه أطلق على العباد وخلي بينه وبينهم؛ ليدلهم على الحق وما أرسل به.

والمعاني الثلاثة موافقة للمعنى الشرعي ، فالرسل مبعوثون وموجهون من الله تعالى إلى العباد بالبشارة والنذارة ، وهم متتابعون ويتابعون ما أرسلوا به ، وقد بعثوا وأطلقوا على العباد وخلي بينهم وبين من أرسلوا إليهم ؛ ليبلغوهم شرائع الله تعالى.

**شرعاً :**

الرسول: هو إنسان ذكر حر أوحي إليه بشرع ، وأرسل إلى قوم كافرين أو مخالفين مخالفة عظمى ، ليبلغهم رسالة من الله تعالى.

*** الفرق بين النبي والرسول :**

دل كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على وجود فرق بين النبي والرسول ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾[2] ، فعطف النبي على الرسول ، والعطف يقتضي المغايرة ، فدل على

---

(١) سورة مريم ، الآية ٨٣.

(٢) سورة الحج ، الآية ٥٢.

أن الرسول غير النبي ، وإن قال في أول الآية ﴿وَمَآأَرۡسَلۡنَا﴾ ، إلا أن النبي لا يسمى رسولاً عند الإطلاق؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه ، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق.

ومن السنة حديث البراء بن عازب ، حيث قال: قال لي رسول الله ﷺ: **(إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت مت على الفطرة ، وأجعلهن آخر ما تقول)** فقلت: أستذكرهن:... وبرسولك الذي أرسلت ، فقال رسول الله: **(لا ، وبنبيك الذي أرسلت)**[1] ، فقول البراء: وبرسولك الذي أرسلت ، فيه تكرار وإعادة لا حاجة لها ، فقال له الرسول ﷺ: **(وبنبيك الذي أرسلت)**؛ إذ قد كان نبياً قبل أن يكون رسولاً؛ ليجمع له الثناء بالاسمين معاً.

ودل على الفرق أيضاً ، حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال ﷺ: **(ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً)**، وفي رواية ، قلت يا رسول الله ، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال ﷺ: **(مائة ألف وأربعة**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب إذا بات طاهراً ح٦٣١١ ، ومسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ح٢٧١٠.

**وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً)**[1].

هذه الأدلة تدل بوضوح إلى وجود فرق بين النبي والرسول ، فما هو الفرق بينهما؟

مما دلت عليه الأدلة ، وما هو معلوم من الدين بالضرورة ، أن كلاً من النبي والرسول مخبر ومنبأ من الله تعالى ، فكل واحد منهما يعد نبياً بهذا المعنى.

فالنبي هو الذي ينبئه الله تعالى ، وهو ينبئ بما أنبأه الله به ، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله، من الكفار ونحوهم؛ ليبلغهم رسالة من الله إليه، فهو رسول ، وأما إذا نبئ في قوم مؤمنين ، ويعرفون الحق في الجملة ، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه رسالة من الله ، فهو نبي وليس رسولا ، فالأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم ، لكونهم مؤمنين بهم ، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول.

فالأنبياء ينبئهم الله تعالى ، فيخبرهم ويوحي إليهم بأمره ونهيه وخبره ، وهم ينبئون المؤمنين بهم ، بما أنبأهم الله به من الأمر والنهي والخبر ، فمن أرسل من هؤلاء الأنبياء إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا

---

(١) أخرجه أحمد في المنسد٥/ ١٧٨ ،١٧٩، ٢٦٥ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/ ٣٥ح ٢٦٦٨ ، ورأى جمع من أهل العلم ضعف الحديث.

شريك له فهم رسل ، ومن لم يرسل منهم إلى كفار أو مخالفين مخالفة عظمى فهم أنبياء وليسوا رسلاً ، فالأنبياء مرسلون ، ولكن لا يسمون رسلاً عند الإطلاق؛ لأنهم لم يرسلوا إلى قوم بما لا يعرفونه ، بل كانوا يأمرون المؤمنين بما يعرفون أنه حق.

وفي الغالب أن يكون النبي تابعاً لشرع من قبله ، وقد يأتي بشرع جديد كآدم عليه السلام ، فهو نبي ، أول الأنبياء.

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشرع جديد؛ فإن يوسف عليه السلام كان رسولاً ، وكان على شريعة إبراهيم عليه السلام ، وداود وسليمان عليهما السلام ، كانا رسولين ، وكانا على شريعة التوراة ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾[2].

---

(١) سورة غافر ، الآية ٣٤.

(٢) سورة النساء ، الآية ١٦٤.

*** المراد بالإيمان برسل الله تعالى :**

الإيمان بالرسل: هو الاعتقاد والإقرار الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن الرسل صادقون فيما يبلغونه عن الله تعالى ، وأنهم بلغوا ما أرسلوا به وبينوه للناس ، وأن خاتمهم محمد بن عبدالله ، وأنه أرسل إلى الناس كافة.

*** وجوب الإيمان برسل الله تعالى ومنزلته في الدين:**

الإيمان بالأنبياء وبالرسل أحد أصول الإيمان ، وهو الركن الرابع من أركان الإيمان ، فالإيمان بهم جميعاً واجب ، وإنكارهم أو إنكار بعضهم ، أو التفريق بينهم في الإيمان ، كفر بالله العظيم ، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾[2] ، ففي هذه الآيات ، وغيرها ، قرن الله الإيمان بالرسل بالإيمان به سبحانه وبملائكته وكتبه ، وحكم بكفر من فرق بين الله ورسله ، وآمن ببعض وكفر ببعض.

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥.

(٢) سورة النساء ، الآيتان ١٥٠ ، ١٥١.

* حاجة الناس إلى الأنبياء والرسل:

إرسال الأنبياء والمرسلين نعمة عظيمة من الله تعالى على الناس؛ إذ أن حاجة الناس إلى الأنبياء والمرسلين ضرورية ، فلا يستقيم لهم دين ، ولا تنتظم لهم حال إلا بهم ، فالناس يحتاجون إليهم فوق حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الله عز وجل جعل الأنبياء والمرسلين وسائط بينه وبين خلقه، في تعريفهم بربهم وإلههم ، وبما ينفعهم وما يضرهم ، في دنياهم ومعادهم ، وفي تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة ، وبيان ما يحبه الله ويكرهه ، وتقوم به الحجة على خلقه ، فلا سبيل إلى معرفة ذلك إلا من جهة الأنبياء والرسل ، فإن العقول مهما بلغت لا تهتدي إلى تفاصيل هذه الأمور ، وإن كانت قد تدرك وجه الضرورة إليها ، من حيث الجملة ، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[1].

فحاجة الإنس والجن إلى الرسالات أعظم بكثير من حاجة المرضى إلى الأطباء؛ فإن غاية ما يحصل بعدم وجود الأطباء تضرر الأبدان ، أما الذي يحصل من عدم الأنبياء والرسل فهو تضرر القلوب ، ولا بقاء لأهل الأرض

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٣.

إلا ما دامت آثار الأنبياء والرسل موجودة فيهم ، فإذا ذهبت آثارهم من الأرض أقام الله القيامة.

*** ما يتضمنه الإيمان برسل الله تعالى:**

الإيمان برسل الله تعالى ، يتضمن الإيمان بهم جملة وتفصيلاً.

**أما الإيمان بهم جملة:**

فهو الإقرار الجازم بأن الله عز وجل بعث في كل أمة رسولاً ، ليقيم الحجة على الناس بالبشارة والنذارة ، وأنهم جميعاً دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك الله ، مع اختلاف شرائعهم ، واتفاقهم في التوحيد ، وأن خاتمهم رسولنا محمد بن عبد الله ﷺ ، أرسل إلى الناس كافة ، وأنهم مؤيدون من الله تعالى بالآيات والمعجزات ، وأنهم أدوا أماناتهم في تبليغ رسائلهم على أكمل وجه.

**وأما الإيمان بهم تفصيلاً فيتضمن:**

١ - الإيمان بأن رسالاتهم حق من الله تعالى ، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع؛ لأنه آمن ببعض وكفر ببعض ، وفرق بين رسل الله تعالى ، وقد سبق ذكر أدلة ذلك ، ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[1] ، فأخبر الله تعالى بأنهم مكذبون لجميع الرسل ، مع أنه لم يكن رسول غيره ،

---

(١) سورة الشعراء ، الآية ١٠٥.

حين كذبوه.

٢- الإيمان بما علمنا اسمه منهم باسمه ، مما ورد ذكره في القرآن أو صحيح السنة ، وأما من لم نعلم اسمه منهم ، فنؤمن به إجمالاً ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1] ، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[2].

وعدد من سمى الله في القرآن الكريم ، من الأنبياء والرسل ، خمسة وعشرون ، هم: آدم ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، ولوط ، وشعيب ، ويونس ، وموسى ، وهارون ، و إلياس ، و زكريا ، ويحيى ، و اليسع ، وذو الكفل ، وداود ، وسليمان ، وأيوب ، وعيسى ، و محمد ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثمانية عشر ذكروا في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ

---

(١) سورة غافر ، الآية ٧٨.

(٢) سورة النساء ، الآية ١٦٤.

قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وورد ذكر الآخرين في مواضع متفرقة، هي: قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[2]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾[3]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾[5]، وقوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[6]، وقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[7].

وكذلك نؤمن بنبوة الأسباط، وهم أولاد يعقوب عليه السلام، ولم يرد في النصوص الشرعية إلا اسم واحد منهم، وهو يوسف عليه السلام،

---

(١) سورة الأنعام، الآيات ٨٣-٨٦.

(٢) سورة هود، الآية ٥٠.

(٣) سورة هود، الآية ٦١.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٨٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٣٣.

(٦) سورة الأنبياء، الآية ٨٥.

(٧) سورة الفتح، الآية ٢٩.

والدليل على نبوتهم قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾[1].

وأيضاً من الأنبياء العبد لصالح الذي رحل إليه موسى ليطلب منه علماً، قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[2]، وهو الخضر عليه السلام، وقصته في سورة الكهف.

ومن الأنبياء الوارد ذكرهم في السنة باسمه، ولم يرد في القرآن: شيث عليه السلام[3]، ويوشع بن نون عليه السلام[4].

والإيمان بهم جملة وتفصيلا، والإقرار باسم من عرفنا منهم باسمه، يقتضي منا محبتهم وتعظيمهم ونصرتهم والدفاع عنهم، ورد شبهات من تطاول عليهم أو على أحد منهم.

٣- العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٦.

(٢) سورة الكهف، الآية ٦٥

(٣) قال ابن كثير: « وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعاً أنه أنزل عليه خمسون صحيفة »، البداية والنهاية ١/ ٩٩.

(٤) للحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٣٢٥، ٣١٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٣٩٣ح ٢٠٢.

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١].

٤- الإيمان بأن دعوة الأنبياء والرسل جميعا واحدة، متفقة في الأصول، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده والتحذير من الشرك، أما شرائعهم فمتنوعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[٣].

٥- الإيمان بأن الله تعالى اصطفى الأنبياء والرسل واختارهم وأيدهم، فهم صفوة الخلق، وهم أصدق الناس وأكملهم علماً وعملاً، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[٤].

٦- الإيمان بأنهم جميعاً بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، ونصحوا لأممهم، فبينوا لهم الحق، ودعوهم إليه، ونهوهم عن الباطل وحذروهم منه.

٧- أنهم معصومون في كل ما يبلغونه عن الله تعالى، فلا تكون أخبارهم إلا حقاً، وأوامرهم ونواهيهم صدقا؛ ولهذا وجبت طاعتهم، وقامت بهم الحجة، ووجب تصديق ما صح عنهم من أخبارهم، وكذلك

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٤) سورة الحج، الآية ٧٥.

فهم معصومون من كبائر الذنوب ، وما فيه خسة ودناءة من صغائرها ، وكذلك معصومون من الإصرار على الصغائر ، فإن وقعت منهم فسرعان ما يتوبون ويرجعون عنها.

٨- أن الأنبياء والرسل بشر مخلوقون ، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء؛ ولهذا تلحقهم خصائص البشرية ، من الحاجة إلى الشراب والطعام ، ويصيبهم المرض والموت ، وغير ذلك ، قال الله تعالى عن أعظمهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[1] ، إلى غير ذلك من الآيات التي تبين حاجة الأنبياء والرسل إلى الله تعالى ، وأنهم عباد أنعم الله عليهم بالنبوة وعلى بعضهم بالرسالة ، واختازهم سبحانه لذلك.

٩- أن الرسل أفضل من الأنبياء ، والرسل يتفاضلون ، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾[2] ، وأفضل الرسل أولو العزم منهم ، وهم خمسة: نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، عليهم الصلاة والسلام ، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٨٨.

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٥٣.

وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[1]، وأفضل أولي العزم الخليلان إبراهيم و محمد عليهما الصلاة والسلام، وأفضل الخليلين محمد ﷺ، وقد قال الله تعالى له: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[2].

١٠- أن النبوة تفضل واختيار من الله تعالى، وليست كسباً يناله العبد بالاجتهاد والتكلف والرياضة ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3]، فالنبوة اصطفاء من الله، حسب علمه وحكمته بمن يصلح لها، وذلك أن الأنبياء اختصوا بفضائل يمتازون بها عن غيرهم.

١١- أن الرسل، رجال من الإنس، من الحاضرة، فليس في الجن رسل، بل فيهم نذر، كما أن الرسل من الرجال دون النساء، ومن الحاضرة دون البادية، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[4]، والمراد بالقرى: المدن.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧.

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٣٥.

(٣) سورة الحج، الآية ٧٥.

(٤) سورة يوسف، الآية ١٠٩.

١٢ - أن أول الأنبياء آدم عليه السلام ، وأول الرسل نوح عليه السلام ، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾[1] ، والمراد هنا: وحي الرسالة ، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾[2] ، وأخبر رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة أن أهل الموقف يقولون لنوح: (**أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض**)[3].

وقد اختلف في زمن الرسول إدريس عليه السلام ، فقيل بأنه قبل نوح عليه السلام ، وقيل بعده ، ولكن الأدلة تدل على أن نوح أول الرسل ، ولم يثبت نص صريح في زمن إدريس عليه السلام.

أما آخر الأنبياء والرسل فهو محمد عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[4] ، فإذا ختمت النبوة ختمت الرسالة من باب أولى.

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٦٣.

(٢) سورة الحديد ، الآية ٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب كلام الله مع الأنبياء يوم القيامة ح٧٥١٠ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلا ح ١٩٤.

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٤٠.

* ما تثبت به النبوة :

تثبت نبوة الأنبياء والرسل بدلائل كثيرة ، ومتنوعة ، فدلائل النبوة هي التي تعرف بها نبوة النبي الصادق ، ويعرف بها كذب المدعي للنبوة من المتنبئين الكذبة.

ومن أشهر دلائل النبوة ما يلي:

١- الآيات ، جمع آية ، وهي أمر خارق للعادة يجريه الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدل على صدقه وصحة رسالته ، وقد يكون للتحدي والإعجاز؛ ولهذا أطلق بعض أهل العلم لفظ المعجزات على آيات الأنبياء.

ومعجزات الرسل كثيرة ، منها: الناقة التي أوتيها صالح عليه السلام حجة على قومه ، وقلب العصا حية آية لموسى عليه السلام ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى آية لعيسى عليه السلام ، ومنها آيات محمد عليه الصلاة والسلام ، وهي كثيرة ، منها: القرآن الكريم ، والإسراء والمعراج ، وتسبيح الحصا في كفه عليه الصلاة والسلام.

ودلائل النبوة ليست محصورة في المعجزات ، بل هي كثيرة ومتنوعة.

٢- النظر في أحوالهم ، وإخبارهم الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم وبقاء العاقبة لهم ، فوقع كما أخبروا ، ولم يتخلف منه شيء ، وقصص الأنبياء في ذلك كثيرة معلومة.

٣- النظر في ما يدعون إليه ، وأن ما جاؤوا به من الشرائع والأخبار في

غاية الإحكام والإتقان ، ودلالة الناس وهداية الخلق مما يعلم بالضرورة أن مثله لا يصدر إلا من أعلم الناس وأصدقهم وأبرهم.

وما من أحد قال بالنبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز؛ فإن الرسول لابد أن يخبر الناس بأمور ، ويأمرهم بأمور ، ولابد أن يفعل أمورا ، والكاذب المدعي للنبوة يظهر من نفس ما يأمر به ويخبر عنه ويفعله ، ما يظهر به كذبه من وجوه كثيرة ، فما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور ، واستحواذ الشياطين ، ما ظهر به كذبه لمن له أدنى تمييز.

٤- تأييد الله لهم تأييداً مستمراً ، وقد علم من سنة الله تعالى أنه لا يؤيد الكذاب بمثل ما يؤيد به الصادق ، بل لابد أن يفضح الكذاب ، ولا ينصره ولا يؤيده ، وإنما قد يمهله مدة ، ثم يهلكه.

٥- اتفاق الأنبياء في دعوتهم ، فإن طريقتهم واحدة في ما يأمرون به من عبادة الله وحده لا شريك له ، والعمل بطاعته ، والإيمان بجميع الكتب والرسل واليوم الآخر ، فلا يمكن خروج واحد منهم عما اتفقوا عليه ، فمتأخرهم يصدق متقدمهم ، ويبشر متقدمهم بمتأخرهم ، كما بشر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ومن قبله بمحمد ﷺ ، وكما صدق محمد ﷺ جميع النبيين قبله.

والمقصود أن التمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة في ما هو دون دعوى النبوة ، فكيف بدعوى النبوة ، ومعلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم ، وإما أن يكون من أرذل الخلق وأنقصهم ، فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأرذل الخلق وأنقصهم.

*** الفرق بين آيات الأنبياء والكرامات والأحوال الشيطانية :**

سبق الحديث عن تعريف الآيات والمعجزات ، فما المراد بالكرامات؟ ولمن تكون؟

الكرامات جمع كرامة ، والكرامة هي أمر خارق للعادة ، يجريه الله على يد بعض الأولياء والصالحين ، من أتباع الرسل ، إكراماً من الله لهم ، ببركة اتباعهم للرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

وأولياء الله عز وجل هم المؤمنون المتقون ، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[1] فكل مؤمن تقي هو ولي لله عز وجل ، بقدر إيمانه وتقواه ، وقد يظهر الله على يده من خوارق العادات ، وهو ما يسمى بالكرامات.

وليس كل ولي تحصل له كرامة ، وإنما تحصل لبعضهم ، إما لتقوية إيمانه ، أو سداً لحاجته ، أو لإقامة حجة على خصمه المعارض في الحق ،

---

(١) سورة يونس ، الآيتان ٦٢ ، ٦٣.

أو لنصرة دينه ورفعة كلمته ، ونصرة أتباع دينه.

والأولياء الذين لم تظهر لهم كرامة لا يدل ذلك على نقصهم ، كما أن الذين وقعت لهم الكرامة لا يدل ذلك على أنهم أفضل من غيرهم.

وكرامات الأولياء حق ، فقد دل عليها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع أئمة الإسلام.

- ففي القرآن الكريم: قصة أصحاب الكهف ، وقصة مريم ، وفي السنة: نزول الملائكة كهيئة الظلة فيها أمثال السرج ، لاستماع قراءة أسيد بن حضير رضي الله عنه ، وسلام الملائكة على عمران بن حصين رضي الله عنه ، والأمثلة لذلك كثيرة.

*** الفرق بين الآيات والكرامات :**

لا يمكن أن يقال بأن الكرامة قد تلتبس بالآية والمعجزة ، أو أن الولي والصالح قد يلتبس بالنبي ، وذلك بأن الولي الذي أوتي الكرامة لا يدعي النبوة ، ولو ادعى النبوة لم يكن ولياً ، بل كان متنبئاً كذابا ، أما من أوتي الآية والمعجزة ، فإنه يقول بأنه نبي ويتضح ذلك من النظر في حاله ودعوته ، وبالتالي فلا يمكن أن يلتبس الولي بالنبي.

*** الفرق بين آيات الأنبياء والأحوال الشيطانية :**

هناك فروق كثيرة بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة والكهان ونحوهم ، ومنها:

١- أن الأنبياء والرسل مؤمنون مسلمون يعبدون الله وحده لا شريك له، ويصدقون جميع ما جاءت به الأنبياء، وأما السحرة واالكهان والمتنبئون والكذبة ونحوهم فلا يكونون إلا مشركين مكذبين ببعض ما أنزل الله تعالى.

٢- أن أخبار الأنبياء لا يقع فيها تخلف ولا غلط، بخلاف أخبار الكهنة والمنجمين؛ فإن الغالب فيها الكذب، وإن صدقوا أحياناً في بعض الأشياء، بسبب ما يحصل عليه الكهان من استراق شياطينهم للسمع.

٣- أن السحر والكهانة أمور معتادة معروفة ينالها بعض الناس بكسبه وتعلمه، فهي مقدورة للإنس والجن، وتحصل بأفعالهم واختيارهم، ويمكن معارضتها بمثلها، بخلاف آيات الأنبياء؛ فإنها لا يقدر عليها إنس ولا جن، كما قال الله تعالى لنبيه عندما طلبوا منه أن يأتي بآية قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]، فآيات الأنبياء ومعجزاتهم لا يقدر عليها الخلق ولا تحصل باختيارهم، بل الله تعالى هو الذي يفعلها آية وعلامة على صدقهم، فأمر الآيات إلى الله لا إلى اختيار المخلوق.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٥٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

٤- أن الفطر والعقول توافق ما جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأما السحرة والكهان والدجالون الكذابون؛ فإنهم يخالفون الأدلة السمعية والعقلية والفطرية.

بل إن الأنبياء جاؤوا بما يكمل الفطر والعقول، أما السحرة والكهان والكذبة؛ فإنهم يجيئون بما يفسد العقول والفطر.

*** الفرق بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية:**

هناك فروق كثيرة بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية من خوارق السحرة والدجالين ونحوهم، ومنها:

١- أن كرامات الأولياء سببها التقوى والعمل الصالح؛ ولهذا يعرف أن ما جرى له كرامة من النظر في حاله واستقامته على الحق، أما الأحوال الشيطانية وأعمال السحرة والدجالين؛ فإن سببها الكفر والفسق والفجور، ويعرف أن ما أتى به أحوال شيطانية بالنظر إلى حال صاحبها.

٢- أن كرامات الأولياء يستعان بها على البر والتقوى أو على أمور مباحة، أما أعمال السحرة والمشعوذين ونحوهم فيستعان بها على أمور محرمة، من الشرك والسكر وقتل النفس ونهب الأموال، ونحو ذلك.

٣- أن كرامات الأولياء تتأكد وتقوى بذكر الله وتوحيده وتعظيمه، أما خوارق السحرة والمشعوذين؛ فإنها تضعف عند ذكر الله تعالى وتوحيده وقراءة القرآن.

٤- أن أولياء الله حقاً لا يستغلون كراماتهم للنصب والاحتيال وسلب الأموال ولفت الناس إلى تعظيمهم ، وإنما تزيدهم تواضعاً و محبة لله تعالى وإقبالاً على عبادته ، بخلاف السحرة والمشعوذين والدجالين ، فإنهم يستغلون أحوالهم الشيطانية للكذب وسلب الأموال ولفت الناس إلى تعظيمهم ، ونحو ذلك.

والمقصود أن الحق هو إثبات كرامات الأولياء دون الغلو في أصحابها ، ودون التعلق بهم من دون الله تعالى ، بل لا يعتقد فيهم أنهم أفضل من غيرهم ، فهناك من أولياء الله تعالى من هو أفضل منهم ولم تجر على يده كرامة.

كما يجب نفي ما خالف الكتاب والسنة من الدجل والشعوذة والاحتيال، والاعتقاد بأن ذلك من عمل الشيطان ، وليس هو من كرامات الأولياء.

*** الإيمان بمحمد ﷺ :**

أعظم نعمة أنعم الله تعالى بها على الجن والإنس ، في آخر الزمان ، أن بعث فيهم رسوله الكريم محمداً ﷺ ، فدلهم على كل خير ، وحذرهم من كل شر ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٦٤.

* بدء الوحي :

لما كمل للرسول ﷺ من العمر أربعون سنة ظهرت له إرهاصات النبوة ، وكان أشهرها الرؤيا الصالحة ، فكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، حتى مضى على ذلك ستة أشهر ، فأكرمه الله بالنبوة ، وأنزل إليه جبريل عليه السلام آيات من القرآن الكريم .

ففي يوم الاثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ، ليلاً ، الموافق ١٠ أغسطس سنة ٦١٠م، وكان عمره ﷺ إذ ذاك أربعين سنة وستة أشهر ، وكان يتعبد ، كعادته ، في غار حراء ، نزل عليه الوحي.

تقول عائشة رضي الله عنها : (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ ، من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك « فقال: اقرأ ، فقلت: ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال: اقرأ ، فقلت: ما أنا بقارئ ، فأخذني في الثانية فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال اقرأ ، فقلت: ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ

﴿٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾[1] ، فرجع بها يرجف فؤاده ، حتى دخل على خديجة فقال زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال: يا خديجة مالي؟ وأخبرها الخبر ، وقال: لقد خشيت على نفسي ، فقالت له: كلا والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره ، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعا ، أكون حياً حين يخرجك قومك ، فقال: أو مخرجي هم؟ قال: نعم ، لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي وأوذي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة أن توفي ، وفتر الوحي)[2].

انقطع جبريل عليه السلام عن النبي ﷺ بعد هذا فترة من الزمان،كانت أياما حزن فيها رسول الله ﷺ لانقطاعه،ثم نزل عليه مرة أخرى،وفي ذلك

---

(١) سورة العلق ، الآيات ١-٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التعبير ، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي ، الرؤيا الصالحةح٦٩٨٢ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ح١٦٠.

يقول رسول الله ﷺ : (بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصري ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعت إلى أهلي فقلت: زملوني ، زملوني ، فزملوني،فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾[1] فحمي الوحي وتواتر)[2].

*** العقول السليمة تدل على حاجة البشر إلى الرسول ﷺ :**

العقول السليمة ترشد إلى حاجة الناس إلى بعثة رسول من الله تعالى ، يهديهم إلى الخير ويدلهم على وسائله ، ويحذرهم من الشر وسبله ، وذلك أن العقول المجردة عن الوحي لا يمكن الاستغناء بها عن الرسل ، مهما بلغت من الذكاء والفطنة ، يتضح هذا من خلال ما يلي:

١- هناك أمور هي مصالح للبشر ، لا يستطيع أي إنسان إدراكها بمجرد عقله؛ لأنها غير داخلة في مجال العقل ودائرته ، فمن أين للعقل المجرد معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله؟ ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه؟ ومن أين له معرفة تفاصيل ما يحبه ، ويرضاه ، ويسخطه ويكرهه؟ ومن أين له معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه؟ ونحو ذلك.

---

(١) سورة المدثر ، الآيات ١-٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب (وثيابك فطهر) ح٤٩٢٥ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ح١٦١.

٢- الذي يدرك العقل حسنه أو قبحه يدركه على سبيل الإجمال ، ولا يستطيع أن يدرك تفاصيل ما جاء به الشرع ، وإن أدرك شيئاً مما جاء به فهو إدراك جزئي ، وليس إدراكاً كلياً شاملاً ، فالعقل يدرك حسن العدل ، وأما كون هذا الفعل المعين عدلاً ، أو ظلماً ، فهذا مما يعجز العقل عن إدراكه في كل فعل وتصرف.

٣- العقول قد تحار في الفعل الواحد؛ إذ قد يكون الفعل مشتملاً على مصلحة ومفسدة ، ولا يعلم العقل مفسدته أرجح أم مصلحته ، فيتوقف العقل في ذلك ، وتأتي الشرائع ببيانه موجهة إلى المصلحة ، وناهية عن المفسدة ، فالأنبياء جاؤوا بما تعجز العقول عن معرفته ، ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه ، فهم يأتون بما قد تحار فيه العقول ، ولا يأتون بما تحيله و تمنعه العقول.

* **ما يتضمنه الإيمان بمحمد ﷺ :**

يتضمن الإيمان بمحمد ﷺ أموراً عظيمة ، أهمها الإيمان بما يلي:

١- عموم رسالته ﷺ إلى الإنس والجن ، فكونه مبعوثا إلى عامة الجن يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

﴿٣١﴾﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[٢]، وقد جاء في الصحيح أن الجن أتوا إلى الرسول ﷺ، وخاطبهم، وقرأ عليهم القرآن.

وأما كونه مبعوثا إلى جميع الناس فقد دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٣]، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٤]. وقوله ﷺ: **(فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)**[٥].

وقوله: **(والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)**[٦].

وأمة نبينا محمد ﷺ أمة دعوة وأمة إجابة، فأمة الدعوة: كل إنسي وجني،

---

(١) سورة الأحقاف، الآية٢٩-٣١.

(٢) سورة الجن، الآية ١، ٢.

(٣) سورة سبأ، الآية٢٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية١٥٨.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح٥٢٣.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ح١٥٣.

مـن حـين بعثتـه ﷺ إلى قيـام السـاعة ، وأمـة الإجابـة: هـم الـذين وفقهـم الله للدخول في دينه الحنيف.

فشريعته ﷺ لازمة للجن والإنس ، والدعوة إليها موجهة لهم جميعاً ، ليست لأحد دون أحد ، بل هي للجميع ، فاليهود والنصارى بعد بعثته ﷺ لا ينفعهم زعمهم أنهم أتباع موسى وعيسى ، بل يتعين عليهم الإيمان بالرسول محمد ﷺ ، الذي نسخت شريعته الشرائع قبلها ، وختم به النبيون.

ومن كذب برسول واحد فقد كذب بجميع الرسل ، ومن صدق برسالة محمد ﷺ ولكنه زعم أنه مرسل إلى العرب خاصة فقوله باطل؛ لأنه لما صدق برسالته وبعثته ﷺ لزم تصديقه في كل ما أخبر به ، وقد أخبر ﷺ أنه رسول إلى الناس جميعاً ، ودعا أهل الكتاب إلى الإسلام وجاهدهم ، بقوله وفعله.

فسبيل الهداية مقصور على اتباع النبي محمد ﷺ ، ولا يعبد الله تعالى إلا بما جاء به خاتم رسله ، ولا طريق يوصل إلى الله تعالى إلا باتباع ما جاء به ﷺ.

٢- أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، والختم في اللغة: هو الطبع والتغطية وآخر الشيء ونهايته ، وشرعاً: انتهاء إنباء الله للناس وانقطاع وحي السماء ، فيجب الإيمان بأن محمداً ﷺ هو آخر أنبياء الله ورسله ، فبعده انتهى أنبياء الله تعالى للناس وانقطع بعده وحي السماء.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1] ، وقوله ﷺ في الحديث السابق (**وختم بي النبيون**) ، وقوله ﷺ (**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**)[2] ، والأحاديث في ذلك كثيرة؛ فإذا كان لا نبي بعده ﷺ فلا رسول بعده ، من باب أولى.

ومما يدل على ختم النبوة بمحمد ﷺ غير ما سبق ، من إخبار الله تعالى بذلك ، وإخبار رسوله ﷺ به ، الإخبار بكمال دين الإسلام وإتمامه ، وحفظ الذكر ، وكون الإسلام ناسخاً لما قبله ، وعموم رسالته ﷺ إلى الجن والإنس كافة.

٣- أن رسالته ﷺ ناسخة لما قبلها من الشرائع ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[3] ، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب خاتم النبي ﷺ ح٣٥٣٥ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ح٢٢٨٦.

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٨.

وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

وكون القرآن الكريم مصدقاً و مهيمناً لما بين يديه من الكتاب ، يتضمن عدة أمور منها:

أ- أن الكتب المتقدمة تضمنت ذكر القرآن الكريم و أخبرت ببعثة محمد ﷺ؛ فكان نزوله على الصفة التي أخبرت بها الكتب المتقدمة تصديقاً لتلك الكتب.

ب- أن القرآن الكريم جاء بأمور صدق فيها الكتب السابقة ، بموافقته لها ، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾[٢].

جـ- أن القرآن الكريم أخبر بإنزال الكتب السماوية ، وأنها من عند الله تعالى وأمر بالإيمان بها على هذا النحو ، فكان هذا منه تصديقاً لها.

د- وصف القرآن بأنه مهيمن على الكتب السابقة ، والمهيمن هو القائم على الشيء ، فالقرآن الكريم قائم على الكتب السابقة ، أي أنه مؤتمن وشاهد على ما قبله من الكتب، يأمر بالإيمان بها، ويصدق ما فيها من الحق، وينفي التحريف والتغيير الذي طرأ عليها ، وهو حاكم على تلك الكتب

---

(١) سورة يونس ، الآية ٣٧.

(٢) سورة المدثر ، الآية ٣١.

بالنسخ أو التقرير؛ لأنه الرسالة الإلهية الأخيرة الخاتمة ، التي يجب المصير إليها ، وكل ما خالفها مما جاء في الرسالات السابقة فهو إما محرف مغير ، وإما منسوخ.

٤- تمام الرضا به ﷺ نبياً ورسولاً وقبول جميع ما جاء به من عند الله تعالى، والتحاكم إليه ، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1]، وقال ﷺ: **(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً)**[2].

٥- تصديق أخباره ، وطاعة أوامره ، واتباع شرعه ، واجتناب نواهيه ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[3] ، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[4] ، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[5].

٦- نصرته وتوقيره قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ

---

(١) سورة النساء ، الآية ٦٥.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً... ح٣٤.

(٣) سورة الحشر ، الآية٧.

(٤) سورة آل عمران ، الآية ٣١.

(٥) سورة النساء ، الآية٨٠.

وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

٧- محبته فوق محبة كل من سواه من الخلق، قال ﷺ: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**)[٢].

٨- الشهادة بأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة، على أكمل وجه، وجاهد في الله حق جهاده، حتى توفاه الله تعالى.

٩- الصلاة والسلام عليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[٣].

١٠- أنه ﷺ أفضل الناس على الإطلاق، لما جاء من خصائصه العظيمة ومزاياه الكثيرة، كما سبق ذكر بعضها، ومنها قوله ﷺ: (**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة**)[٤]، وقوله ﷺ: (**أنا سيد**

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ح١٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ح٤٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية٥٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، باب حدثنا عبد الله بن يوسف... ح٣٣٥، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح٥٢١.

ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع)[١] ، وقوله ﷺ: (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً)[٢] وغير ذلك من الخصائص والمزايا العظيمة.

١١ - الإيمان بأن الله تعالى أيده بآيات عظيمة ومعجزات باهرة ، مثل: انشقاق القمر ، وتسبيح الحصا ، وتكثير الطعام ، والقرآن الكريم ، والإسراء والمعراج ، وغيرها.

١٢ - محبة آل الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين ، والترضي عنهم ، والثناء عليهم والذب عنهم.

*** الإسراء والمعراج :**

جاء خبر الإسراء والمعراج في كتاب الله تعالى ، وأحاديث كثيرة في صحيح سنة الرسول ﷺ ، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣].

والإسراء في اللغة هو السير ليلاً ، والمعراج هو الآلة التي يعرج فيها أي يصعد ، وهو بمنزلة السلم ، لكن لا يعلم كيفيته إلا الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ح ٢٢٧٨.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ح ٥٣٢.

(٣) سورة الإسراء ، الآية ١.

أما شرعاً فالإسراء والمعراج: هو الإسراء بالرسول ﷺ على البراق ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى، بصحبة جبريل، ثم العروج به إلى السماء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، ثم عاد في ليلته إلى المسجد الأقصى ثم إلى مكة.

**وتفصيل ذلك:**

أن الله تعالى أسرى بالرسول محمد ﷺ على البراق بصحبة جبريل، من المسجد الحرام بمكة في جزء من الليل، إلى المسجد الأقصى، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط دابة البراق عند الباب، ودخله، فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين، ثم أتي بالمعراج، فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السموات السبع، فتلقاه من كل سماء مقربوها، وسلم على الأنبياء الذين في السموات، بحسب منازلهم ودرجاتهم، حتى مر بموسى عليه السلام في السادسة، وإبراهيم عليه السلام في السابعة، ثم جاوز منزلتهما، حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، أي أقلام القدر بما هو كائن، ورأى سدرة المنتهى، ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح، ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق، ورأى البيت المعمور، وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسنداً ظهره إليه؛ لأنه الكعبة السماوية، ورأى الجنة والنار، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين، ثم خففها إلى خمس، رحمة منه ولطفاً بعباده، وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها، ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم في

المسجد الأقصى ، لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ثم خرج من بيت المقدس ، فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس[1].

وقد دلت النصوص الشرعية على أن الإسراء والمعراج كان ببدن الرسولﷺ وروحه ، يقظة لا مناماً ، مرة واحدة ، بعد البعثة وقبل الهجرة بسنة وقيل بسنة وشهرين.

هذا هو الركن الرابع من أركان الإيمان ، من تأمله حق التأمل عرف عظيم رحمة الله تعالى بعباده وعنايته بهم ، حيث أرسل إليهم الرسل ، ليهدوهم إلى معرفة ربهم ، ويدلوهم على شرعه ، وكيفية عبادته؛ لأن العقول البشرية مهما بلغت ذكاء وفطنة لا يمكن أن تستقل بمعرفة ذلك ، فالواجب شكر الله تعالى على هذه النعمة الكبرى ، شكراً صادقاً خالصاً لله تعالى ، صادراً من القلب واللسان والجوارح ، باتباع أوامره وامتثالها ، والحذر من نواهيه واجتنابها ، ومن ذلك محبة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، ونصرتهم والثناء عليهم ، وتعظيمهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى؛ ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده.

* * *

(١) حديث الإسراء والمعراج أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ح ٣٤٩.

## الركن الخامس
## الإيمان باليوم الآخـر

* تعريف اليوم الآخر :

اليـوم الآخـر هـو يـوم القيامـة ، الـذي يبعـث الله فيـه النـاس للحـساب والجزاء، وسمي باليوم الآخر؛ لأنه لا يوم بعده ، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم في الجنة ، وأهل النار في منازلهم في النار.

* المراد بالإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر هو الاعتقاد الجازم والإقرار بكل ما أخبر الله تعالى به ورسوله ﷺ من البعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار.

أو تقول هو: الاعتقاد الجازم بكل ما أخبر الله تعالى به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت ، وذلك أنه يلحق باليوم الآخر ما ثبت من أحوال الحياة البرزخية ، كخروج الروح ، والقبر وما فيه من فتنة ، وضمة ، وعذاب ونعيم.

ولهذا ذكر بعض أهل العلم أن الإيمان باليوم الآخر يدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت ، كفتنة القبر وعذابه ونعيمه ، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد والصراط والميزان والحساب والجزاء ونشر الصحف بين الناس ، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ

كتابه بشماله أو من وراء ظهره ، ويدخل في ذلك أيضاً الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد ﷺ والإيمان بالجنة والنار ، ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى ، وتكليمه إياهم ، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، فيجب الإيمان بذلك كله وتصديقه على الوجه الذي بينه الله تعالى ورسوله ﷺ.

ويلحق في اليوم الآخر ، أيضاً مقدماته الدالة عليه وعلى قربه ، كأشراط الساعة وعلاماتها ، الصغرى والكبرى.

*** أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم :**

سيأتي يوم يميت الله تعالى فيه كل من على الأرض ويهلك كل شيء ، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[1] ، وقال عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2] ، ثم يأتي يوم يعيد الله فيه العباد ويبعثهم ، فيوقفهم بين يديه ، ويحاسبهم على ما قدموه من أعمال ، وسيلاقي العباد في ذلك اليوم أهوالاً عظيمة لا ينجو منها إلا من أعد لذلك اليوم عدته من الإيمان والعمل الصالح ، ثم يساق العباد إلى دار القرار: إما الجنة أو النار.

---

(١) سورة الرحمن ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧.

(٢) سورة القصص ، الآية ٨٨.

ذلك اليوم هو اليوم الآخر ، وقد اعتنى القرآن الكريم بذكره عناية عظيمة؛ ليستعد له ولما بعده العباد ، ومن مظاهر الاهتمام به كثرة ذكره في القرآن الكريم بأسماء متنوعة ، لكل منها دلالته ، وكل ما عظم شيء تعددت صفاته ، وكثرت أسماؤه ، فاليوم الآخر لما عظم أمره ، وكثرت أهواله سماه الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ووصفه بأوصاف كثيرة.

فلليوم الآخر أسماء كثيرة عدها بعض أهل العلم فبلغت أكثر من ثمانين اسما ، ومن تلك الأسماء ما يلي:

١- اليوم الآخر ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[1]، وكذلك سمي بالآخرة قال تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾[2] ، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[3] وسمي بهذا الاسم؛ لأنه اليوم الذي لا يوم بعده ، كما سبقت الإشارة إليه.

٢- يوم القيامة ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[4] ، وسمي بهذا الاسم؛ لقيام الناس فيه لرب العالمين؛ ولما

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٣٢.

(٢) سورة النساء ، الآية ٧٤.

(٣) سورة القصص ، الآية ٨٣.

(٤) سورة النساء ، الآية ٨٧.

يقوم فيه من الأمور العظام.

٣- الساعة ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[1] وسميت بهذا الاسم ، لقربها ، فإن كل آت قريب؛ ولأنها تأتي بغتة في ساعة ، وقيل سميت بذلك تنبيهاً على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود.

٤- يوم البعث ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾[3] سمي بهذا الاسم؛ لأن البعث بمعنى الإحياء ، فهو يوم إحياء الله للموتى.

٥- يوم الفصل قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[4]، سمي بهذا الاسم؛ لأن الله تعالى يفصل فيه بين عباده في ما كانوا فيه يختلفون أو يختصمون.

٦- يوم الدين ، قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[5] ، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ

---

(١) سورة الحج ، الآية ١

(٢) سورة الحج ، الآية ٥.

(٣) سورة الروم ، الآية ٥٦ .

(٤) سورة الصافات ، الآية ٢١.

(٥) سورة الفاتحة ، الآية ٤.

﴿ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾[1] سمي بهذا الاسم لأن الله يجزي فيه العباد، ويحاسبهم، فالدين هو الجزاء، والحساب.

٧- يوم الحسرة، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، سمي بهذا؛ لشدة تحسر العباد في ذلك اليوم وتندمهم، فالكفار يتحسرون على عدم إيمانهم، والمؤمنون يتحسرون، لعدم استزادتهم من الأعمال الصالحة.

٨- يوم الخلود، قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾[3]، سمي بهذا؛ لأن الناس يصيرون إلى دار يخلدون فيها، أي يدومون فيها، فالكفار مخلدون في النار، والمؤمنون مخلدون في الجنة.

٩- يوم الحساب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[4]، سمي بهذا؛ لأن الله تعالى يحاسب فيه عباده، فيعدد عليهم أعمالهم من إحسان وإساءة، ويعدد عليهم نعمه، ثم يجازيهم

---

(١) سورة الانفطار، الآيات ١٤-١٩.

(٢) سورة مريم، الآية ٣٩.

(٣) سورة ق، الآية ٣٤.

(٤) سورة ص، الآية ٢٦.

على ذلك.

١٠- يوم الوعيد، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾[١]، سمي بهذا؛ لأنه اليوم الذي يتحقق فيه وعيد الله على العباد.

١١- يوم الآزفة، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾[٢]، سميت بهذا؛ لاقترابها، فالساعة قريبة، وهي بعد ظهور كثير من أشراطها أكثر قربا.

١٢- يوم الجمع، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[٣]، سمي بهذا؛ لأن الله تعالى يجمع فيه الناس.

١٣- يوم التلاق، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾[٤]، سمي بهذا؛ لأنه يلتقي فيه آدم وآخر ولده، ويلتقي فيه العباد كلهم، ويلتقي فيه الظالم والمظلوم، وكل عامل سيلقى ما عمله من خير وشر، وقيل يلتقي فيه الخالق والمخلوق،

---

(١) سورة ق، الآية ٢٠.

(٢) سورة غافر، الآية ١٨.

(٣) سورة الشورى، الآية ٧.

(٤) سورة غافر، الآية ١٥.

حيث يأتي الرب لفصل القضاء.

١٤- يـوم التنـاد ، قـال تعـالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾[١] ، سمي بهذا؛ لكثرة ما يحصل من نداء في ذلك اليوم ، فكل إنسان ينادى للحساب والجزاء ، ثم أصحاب الجنة ينادون أصحاب النار ، وأصحاب النار ينادون أصحاب الجنة ، وأهل الأعراف ينادون هؤلاء وهؤلاء.

١٥- يوم التغابن قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾[٢]، سمي بهذا؛ لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار ، أي ينقصونهم؛ إذ يدخلون الجنة فيأخذون ما أعد الله لهم ، ويرثون نصيب الكفار من الجنة ، فيشعر الكفار بالغبن أي بالنقص ، وما ذلك إلا لكفرهم بالله تعالى.

١٦- الغاشية ، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾[٣] ، سميت بهذا؛ لأنها تغشى الناس بأهوالها وأفزاعها ، فتغمهم؛ ولأن النار تغشى الكفار وتحيط بهم.

١٧- الصاخة ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾[٤] ، سميت بهذا لأن

---

(١) سورة غافر ، الآية٣٢.

(٢) سورة التغابن ، الآية٩.

(٣) سورة الغاشية ، الآية ١.

(٤) سورة عبس ، الآية ٣٣.

صيحة يوم القيامة - أي النفخ في الصور - تصخ الأسماع ، أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصيبها بالصمم.

١٨- الطامة الكبرى ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[١] ، سميت بهذا؛ لأنها تطم أي تغلب الناس وتعلوهم بأهوالها ، منذ غلبة صوت النفخة الثانية ، نفخة البعث والفزع إلى حين يسار أهل النار إلى النار ، وأهل الجنة إلى الجنة.

١٩- القارعة ، قال تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[٢] ، وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾[٣] ، سميت بهذا ، لأنها تقرع القلوب وتصيبها بأهوالها وشدائدها.

٢٠- الحاقة قال تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾[٤] ، سميت بهذا؛ لتحقق الوعد والوعيد فيها؛ ولأن فيها الجزاء وحواق الأمور؛ ولأنها حق لا شك فيها.

٢١- الواقعة ، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾[٥] ، سميت بهذا؛ لتحقق

---

(١) سورة النازعات ، الآية ٣٤.

(٢) سورة القارعة ، الآيات ١-٣

(٣) سورة الحاقة ، الآية ٤ .

(٤) سورة الحاقة ، الآيات ١-٣ .

(٥) - سورة الواقعة ، الآية١ .

وقوعها ووجودها.

٢٢- يـوم الخـروج ، قـال تعـالى: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾(١) ، سمي بهذا؛ لأن العباد يخرجون فيه من قبورهم ، عندما ينفخ في الصور.

٢٣- دار القرار ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾(٢) ، سميت بهذا؛ لأنها محل الإقامة والاستقرار؛ إذ يستقر أهل النار فيها ، وأهل الجنة في الجنة.

*** لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله تعالى:**

وقت قيام الساعة غيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، فلم يطلع الله عليه ملكاً ولا نبيا ، وكان الرسولﷺ يجيب عمن يسأله عن وقت قيام الساعة بأن ذلك غيب لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣)، وقـال تعـالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ

---

(١) سورة ق ، الآية٤٢ .

(٢) سورة غافر ، الآية٣٩ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية١٨٧ .

ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾[1].

وعندما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة أجابه بقوله ﷺ : (**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**)[2] ، يعني فكما أنك لا تعلم متى تقوم الساعة فكذلك أنا لا أعلم متى تقوم ، وثبت في الصحيح قوله ﷺ قبل أن يموت بشهر: ( **تسألوني عن الساعة ، وإنما علمها عند الله...** )[3].

وقد أطلع الله تعالى رسوله ﷺ على بعض الغيوب المستقبلة إلى قيام الساعة ، ومما يدل على ذلك ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال: (خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله...)[4] ، وما رواه عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية٦٣.

(٢) سبق تخرجه.

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب بيان معنى قوله ﷺ على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة ح٢٥٣٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب : القدر ، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً ح٦٦٠٤ ، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ح ٢٨٩.

الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا)[١].

ومع اطلاعه على ما أطلعه الله عليه من المغيبات ، إلا أنه ﷺ لا يعلم متى تقوم الساعة ، وكذلك لا يعلم متى تظهر أشرا طها وعلامات قربها إلا بالعلامات لا بتحديد السنة.

*** قرب قيام الساعة :**

دلت النصوص الشرعية ، على قرب قيام الساعة ، وأننا في آخر الزمان ، ومن ذلك قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[٢] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧﴾[٣]،و قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾[٤] ، وقوله عليه الصلاة والسلام: ( **إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر ومغرب الشمس**)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ح ٢٨٩٢.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ١.

(٣) سورة المعارج ، الآيتان ٦-٧.

(٤) سورة القمر ، الآية ١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ح٣٤٥٩.

فهذه الأدلة وغيرها تدل على أن ما بقي من عمر الدنيا بالنسبة إلى ما مضى شيء يسير ، لكن لا يعلم مقدار ما مضى إلا الله تعالى ، ولم يثبت فيه تحديد عن الوحي المعصوم ، حتى يعلم نسبة ما بقي بالنسبة إليه ، ولكنه قليل جداً بالنسبة إلى ما مضى.

ومما يدل على قربها أن أول علامات قربها بعثة الرسول ﷺ- كما سيأتي ذكره- وقد مضى على بعثة رسول الله ﷺ سنوات كثيرة ، فدل على أننا في هذا الزمان في قرب شديد لقيام الساعة.

نعم نحن في قرب من قيام الساعة ، ولكن لا يجوز بأية حال الاشتغال والتكهن في تحديد وقتها ، ومن فعل ذلك فقد تقول على الله تعالى بغير علم ، والخائض فيه مخالف للكتاب والسنة؛ إذ أن من يتكهن في تحديدها يظن أنه يمكنه أن يعلم ما لم يعلمه رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام ، فينبغي على من اشتغل بذلك العبث أن يسعه ما وسع رسول ﷺ وأصحابه ، ولو كان في معرفة تحديد وقت قيام القيامة خير للبشر ، لأخبر الله تعالى به ، ولكنه تعالى حجبه ، وكفى بذلك واعظاً ورادعاً لمن له قلب سليم وعقل رشيد.

ولا شك أن في إخفاء تحديد وقتها صلاحاً للبشر ، فالأمر العظيم الذي يستيقن المرء وقوعه ، ولكنه لا يدري متى يفجؤه يجعله مترقباً له باستمرار ، مستعداً له بالإيمان والعمل الصالح.

*** أشراط الساعة:**

أخفى الله تعالى عن عباده وقت قيام الساعة ، وأخبرهم تعالى بعلامات وأشراط تدل على قرب وقوعها؛ ليتأهبوا لذلك اليوم العظيم؛ وليستعدوا لتلك الأهوال والشدائد ، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[1].

*** تعريف الأشراط :**

**لغة :** الأشراط جمع شرط وهو العلامة والآية ، وأشراط الشيء أوائله ، فالأشراط هي العلامات والأمارات الدالة على الشيء ، كالعلامات التي تنصب في الصحراء دالة على الطريق ، أو التي ترفع على شواطئ البحار؛ لتدل السفن.

**شرعاً :** أشراط الساعة: هي علامات القيامة ، التي تسبقها وتدل على قربها.

وقال بعض أهل العلم في تعريفها بأنها: ما ينكره الناس من صغار أمور القيامة قبل أن تقوم الساعة ، ولعله أراد بذلك أن بعض أشراط الساعة مخالف للمألوف والمعتاد عند البشر.

---

(١) سورة محمد ، الآية ١٨.

*** أقسام أشراط الساعة:**

تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين:

١- **أشراط صغرى**: وهي العلامات التي تقع في أزمان متطاولة، منذ بعثة الرسول ﷺ، وتكون من جنس المعتاد والمألوف للبشر.

٢- **أشراط كبرى**: وهي علامات عظام تقع في أوقات متقاربة متتابعة، قريبة جداً من قيام الساعة، وهي غير معتادة ولا مألوفة للبشر.

أما العلامات الكبرى فإنها لم يظهر منها شيء إلى هذا الوقت، وأما العلامات الصغرى فمنها ما ظهر وانتهى، ومنها ما ظهر ولا يزال يتتابع، ويتكرر ظهوره، ومنها ما لم يظهر بعد.

*** الأشراط الصغرى للساعة:**

العلامات الصغرى كثيرة جداً، وسأذكر هنا أمثلة منها:

فمن أمثلة العلامات الصغرى التي ظهرت وانتهت ما يلي:

١- بعثة الرسول ﷺ لقوله ﷺ: (**بُعثت أنا والساعة كهاتين**) ويشير بأصبعيه فيمدهما[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين ح٦٥٠٣، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة ح٢٩٥٠.

٢- موت النبي ﷺ.

٣- ظهـور الطـاعون في بلـدة عمـواس بفلـسطين ، ويـدل عـلى هـذه العلامة والتي قبلها ، قوله ﷺ لعوف بن مالك رضي الله عنه: **(اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم...)**[1] وقد وقع الطاعون هناك في سنة ١٨ هـ ومات فيه آلاف الناس ، ومنهم أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه.

٤- ظهور نار في الحجاز ، لقوله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى)**[2] ، وقد خرجت هذه النار سنة ٦٥٤هـ شرقي المدينة النبوية ، وكانت ناراً عظيمة ، شاهد الناس أعناق الإبل في ضوئها ، في مدينة بصرى في الشام.

ومن أمثلة الأشراط الصغرى التي ظهرت ويتكرر ظهورها ما يلي:

١- فتح بيت المقدس ، للحديث سابق الذكر ، فإنه فتح أول مرة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦هـ ، ثم تسلط

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجزية والموادعة ، باب ما يحذر من الغدر ح٧٩٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب خروج النار ح٧١١٨ ، ومسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ح ٢٩٠٢.

عليه النصارى ، وفتح على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ، ثم تسلط عليه اليهود بمساندة النصارى ، أسأل الله العظيم أن يهيئ له من يفتحه ويعيده إلى المسلمين؛ ولهذا اعتبرته هنا من العلامات التي ظهرت ويتكرر ظهورها ، إلا أن بعض أهل العلم اعتبر فتح بيت المقدس من العلامات التي وقعت وانتهت ، ومراده الفتح الأول ، لا إعادة فتحه وتحريره.

٢- استفاضة المال وكثرته ، لأحاديث كثيرة ، منها قوله ﷺ:(**لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ، فيفيض ، حتى يهم رب المال من يقبله منه صدقة ، ويدعى إليه الرجل ، فيقول لا أرب لي فيه**)[1] ، وقد كثر المال في زمن الصحابة بسبب الفتوحات ، واقتسموا أموال الفرس والروم ، وكذلك فاض المال زمن عمر بن عبدالعزيز ، وما تزال هذه العلامة تتكرر.

٣- ظهور الفتن ، لأحاديث كثيرة ، منها قوله ﷺ: (**إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي،...**)[2] الحديث ، وكان من أوائل

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ح ١٠١٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٤٠٨ وغيره ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١٩٣ ح٢٠٤٥.

الفتن مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والحروب التي وقعت بين المسلمين ، وظهور الفرق الضالة.

٤- اتباع سنن الأمم الكافرة ، قال ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع)** فقيل: يا رسول الله ، كفارس والروم ، فقال ﷺ: **(ومن الناس إلا أولئك)**[1] ، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب: التمثيل بشدة الموافقة لهم في المعاصي والمخالفات ، قال النووي رحمه الله : « وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ » والنووي توفي سنة ٦٧٦هـ ، فكيف بحالنا اليوم وقد عظم الاتباع والتشبه ، والله المستعان.

٥- ضياع الأمانة وتوسيد الأمر إلى غير أهله ، فعن أبي هريرة رضي الله قال: (بينما رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم؛ إذ جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه ، فقال بعض القوم سمع ما قاله فكره ما قال ، وقال بعضهم: بل لم يسمع ، حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله ، قال ﷺ: **(إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)** قال: كيف إضاعتها؟ قال: **(إذا وسد الأمر إلى غير أهله**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ: ( لتتبعن سنن من كان قبلكم) ح ٧٣١٩.

**فانتظر الساعة)**[١] ، وقال ﷺ : **(لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع)**[٢] ، واللكع: العبد والأحمق واللئيم ، والمعنى: لا تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(من أشراط الساعة.. أن يعلو التحوت الوعول)** ، أهكذا سمعته من حبي يا ابن أم عبد؟ قال: نعم ورب الكعبة ، قلنا: وما التحوت؟ قال: **(فسول الرجال وأصحاب البيوت الغامضة يرفعون فوق صالحيهم)** والوعول أصحاب البيوت الصالحة[٣].

٦- رفع العلم وثبوت الجهل ، لقوله ﷺ : **(من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل)**[٤].

٧- ظهور مدعي النبوة ، لقوله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة ح ٦٤٩٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣٨٩ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦/ ١٧٧ ح٧٣٠٨.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٢٧ وقال: الحديث ... في الصحيح بعضه ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن الحارث بن سفيان وهو ثقة ، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ١٥ ، من رواية الطبراني في الأوسط.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب رفع العلم وظهور الجهل ، ح٨٠، ومسلم كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ح ٢٦٧١.

**كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله)**[١].

٨- تمني الموت من شدة البلاء ، لقوله ﷺ : **(لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول: يا ليتني مكانه)**[٢] ، وفي رواية أن ذلك بسبب (البلاء)[٣]

٩- ولادة الأَمَة ربتها وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاة في البنيان ، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام **(قال فأخبرني عن أماراتها ، قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان)**[٤]

١٠- ومنها ما ورد في هذا الحديث ، من قوله ﷺ : **(إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ، ويكثر الزنا ، ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ، ويكثر النساء ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد)**[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ح٣٦٠٩ ، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ٢٩٢٣.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور ح٧١١٥ ، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... ح٢٩٠٨.

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.. ح٢٩٠٨.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب العلم ، باب رفع العلم وظهور الجهل ح٨١ ، ومسلم ، كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه ح٢٦٧١.

ومن أمثلة الأشراط الصغرى التي لم تظهر بعد ما يلي:

١- عودة جزيرة العرب مروجاً وأنهارا ، لقوله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً)**(١) والمروج هي الأرض الواسعة ذات الكلأ.

٢- حسر نهر الفرات عن جبل من ذهب ، لقوله ﷺ : **(لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، يقتتل الناس عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو)**(٢).

٣- كلام السباع والجمادات للإنس ، لقوله ﷺ : **(... والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده)**(٣).

٤- ظهور المهدي: لقول ﷺ: **(يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله**

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ح٦٠ من أحاديث الباب، ورواية أخرى أخرجها أحمد في المسند ٢/ ٣٧٠، ٣٧١، والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٧٧ ، وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب خروج النار ح ٧١١٩ ، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ح٢٨٩٤.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٨٣ ، ٨٤ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢١/ ٣١ ح ١٢٢.

**الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطي المال صحاحاً ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، يعيش سبعاً أو ثمانياً ، يعني حججاً)**[1] ، وفي المهدي أحاديث كثيرة ، وقد ذكره بعض أهل العلم في العلامات الكبرى للساعة ، ولكن الصحيح أنه من العلامات الصغرى ، ويكون في زمن أول العلامات الكبرى، إذ في زمنه يخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم عليه السلام.

*** الأشراط الكبرى للساعة:**

الأشراط الكبرى للساعة هي الواردة في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ ونحن نتذاكر ، فقال: **(ما تذاكرون)** ، قالوا: نذكر الساعة ، قال: **(إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر: الدخان، والدجال والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف ، خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)**[2].

فالعلامات الكبرى للساعة هي الواردة في هذا الحديث وغيره من

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٥٧ وصححه ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٣٣٦ ح ٧١١.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ح ٢٩٠١.

النصوص الشرعية وعددها عشر آيات ، هي بالترتيب حسب ظهورها:

١ - الدجال.
٢ - نزول عيسى بن مريم عليه السلام.
٣ - يأجوج ومأجوج.
٤ - خسف بالمشرق.
٥ - خسف بالمغرب.
٦ - خسف بجزيرة العرب.
٧ - الدخان.
٨ - طلوع الشمس من مغربها.
٩ - الدابة.
١٠ - نار تخرج من اليمن.

وتتميز العلامات الكبرى بميزات منها:

أ - أنها قريبة جداً من قيام الساعة ، بل هي بداية لها.

ب - تقع متتابعة ، فإذا ظهرت الأولى تتبعها الثانية وهكذا ، لقوله ﷺ: **(الآيات خرزات منظومات في سلك؛ فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً)**[1].

ج - أنها غير مألوفة ولا معتادة للناس ، فهي بداية لتغير الأحوال السماوية والأرضية.

*** المسيح الدجال:**

فأول العلامات الكبرى المسيح الدجال ، سمي مسيحاً؛ لأن إحدى

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٢/ ٦ ، ٧ ، وقال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٦١ ح ١٧٦٢.

عينيه ممسوحة؛ أو لأنه سيمسح الأرض في أربعين يوماً ، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كالأيام المعتادة.

وسمي دجالاً؛ لكثرة دجله وكذبه وتلبيسه على الناس فهو يغطي الحق بالباطل ، ويغطي كفره بالكذب والتلبيس.

*** صفاته ومكان خروجه :**

هو رجل من بني آدم ، شاب أحمر قصير ، أفحج ، جعد الرأس ، أجلى الجبهة عريض النحر ، ممسوح العين اليمنى ، ليست بناتئة ولا جحراء كأنها عنبة طافئة ، وعينه اليسرى كذلك معيبة عليها ظفرة غليظة كأنها عنبة طافية ، مكتوب بين عينيه (كافر) أو (ك ف ر) ، يقرؤها كل مسلم ، قارئ أو غير قارئ ، وهو عقيم لا يولد له ، يخرج من جهة المشرق ، يبدأ ظهوره من أصبهان في خراسان ، من حارة أو بلدة يقال لها اليهودية ، يتبعه من أول خروجه سبعون ألفاً من اليهود فيها.

*** عمله وفتنته :**

يسير الدجال في الأرض فلا يترك بلداً إلا دخله إلا مكة والمدينة ، فلا يستطيع دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما ، يسعى إلى فتنة الناس عن دينهم؛ إذ أن فتنته أعظم الفتن منذ أن خلق الله آدم إلى قيام الساعة ، بسبب ما يعمله من خوارق عظيمة ، فقد ورد أن معه جنة وناراً ، فجنته نار وناره جنة، ومعه أنهار الماء وجبال الخبز، ويأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت،

وتتبعه كنوز الأرض ، ويتمثل معه شيطانان في صورة والدي من يريد فتنته: فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك ، وذلك أن الدجال يدعي أنه رب الناس.

ينزل الله تعالى بمنه وفضله عيسى بن مريم عليه السلام فيلحق الدجال ويقتله في باب لد وهي بلدة في فلسطين.

*** ما يعصم من الدجال بإذن الله تعالى:**

دلت النصوص الشرعية على أمور هي حافظة للمسلم من فتنة الدجال ، ومنها:

١- قوة الإيمان وحسن المعتقد بالله تعالى ، ومعرفته حق المعرفة.

٢- معرفة صفات الدجال ، ومنها أنه أعور ، والله تعالى ليس بأعور ، وكذلك فإن الله لا يرى في الدنيا ، والدجال يرى ، وكذلك صفات الدجال الأخرى وبخاصة كتابة (كافر) بين عينيه.

٣- التعوذ من فتنة الدجال ، وبخاصة في الصلاة بعد التشهد.

٤- حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ، ومن آخرها.

٥- الابتعاد عنه ، وعدم إتيانه ، لخطورته وعظم شبهاته.

*** نزول غيسى بن مريم عليه السلام :**

بعد ظهور الدجال وسعيه في الأرض للفساد ، ينزل الله تعالى عيسي بن مريم عليه السلام إلى الأرض ، ويكون نزوله رحمة من الله تعالى للطائفة

المنصورة المجتمعة لقتال الدجال ، فينزل وقت إقامة الصلاة ، فيصلي خلف أمير تلك الطائفة ، وهو المهدي ، ثم يتوجه إلى قتل الدجال فيقتله بحربته وينهزم أتباعه ، وينتصر عليهم المسلمون.

*** صفته عليه السلام ومكان نزوله :**

ورد في الأحاديث الصحيحة أنه عليه السلام رجل مربوع القامة ليس بالطويل ولا بالقصير ، أحمر جعد ، عريض الصدر ، سبط الشعر ، له لمة قد رجلها تملأ ما بين منكبيه.

ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طاطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ.

بعد ذلك يموت المهدي ، ثم يحكم عيسى بن مريم بالشريعة الإسلامية ويكون من أتباع رسالة محمد ﷺ ، ويمكث في الأرض سبع سنين ، حاكما عادلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، وينتشر الأمن ، ثم يتوفاه الله تعالى ، فيصلي عليه المسلمون ويدفن في الأرض ، قال ﷺ : **(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)** ثم قال أبو هريرة – راوي الحديث – واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا

لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[1]..)[2] .

* يأجوج ومأجوج :

يأجوج ومأجوج هم أقوام من البشر من ذرية آدم وحواء ، جاء في صفاتهم أنهم صغار الأعين ، ذلف الأنوف ، صهب الشعور ، عراض الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة.

ولعلهم سموا بهذا الاسم: يأجوج ومأجوج ، اشتقاقا من الفعل ماج بمعنى اضطرب ، كما أخبر الله تعالى عن خروجهم من السد ، بقوله سبحانه: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾[3].

وقد أخبر الله تعالى عنهم في سورة الكهف ، بأنه سبحانه سخر الملك الصالح ذا القرنين ، لبناء سد عظيم يحجز بينهم وبين الناس ، اتقاء لإفسادهم في الأرض ، فإذا جاء الوقت المعلوم ، واقترب الساعة اندك السد وخرجوا بسرعة عظيمة من كل حدب ينسلون ، بجمع كبير ، لا يستطيع الناس صدهم ، فما جوا وعاثوا في الأرض فسادا ، وآذوا الناس ، حتى يفر منهم الصالحون وهم بإمامة عيسى بن مريم ، حيث يلجأ ومن معه

---

(١) سورة النساء ، الآية١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً ح ١٥٥.

(٣) سورة الكهف ، الآية ٩٩.

إلى جبل الطور ، إلى أن يهلك الله يأجوج ومأجوج ، فينزل عيسى بن مريم ومعه الطائفة المنصورة ، فقد جاء في الحديث الصحيح: (... **إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم ، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر ، إلا ملأه ، زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله)**[1] ، وفي رواية: (**ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر ، وهو جبل ببيت المقدس ، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض ، هلم فلنقتل من في السماء ، فيرمون بنشابهم إلى السماء ، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً**)[2].

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ، ح ٢٩٣٧.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ح ٢٩٣٧.

*** الخسوفات الثلاثة :**

ومن العلامات الكبرى للساعة ، والتي لم تظهر بعد ، حدوث ثلاثة خسوف : خسف بمشرق الأرض ، وخسف بمغرب الأرض ، وخسف في جزيرة العرب ، نعم حدث في الأرض خسوفات متفرقة ، ولكن المنصوص عليها في علامات الساعة وأشراطها لم تقع بعد؛ إذ أن تلك الخسوفات ستكون آيات عظيمة فهي قدر زائد على ما وجد ، كأن يكون أعظم مما سبق مكاناً أو قدراً ، وستحدث تلك الخسوفات العظيمة عندما يكثر أهل الأرض الخبث كما جاء في بعض الأحاديث[١].

*** الدخـــان :**

الدخان ، كما جاء في الحديث السابق ، أحد العلامات الكبرى للساعة ، ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[٢] ، وقوله ﷺ: ( **بادروا بالأعمال ستاً: الدجال والدخان...**)[٣].

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الأوسط ، كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١١ .

(٢) سورة الدخان ، الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في بقية من أحاديث الدجال ، ح١٩٤٧.

وذلك الدخان ، كما دلت النصوص السابقة: دخان بين واضح يراه كل أحد ، فهو يغشى الناس ويعمهم ، أما المؤمن فلا يجد منه إلا كالزكمة ، وأما الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه.

*** طلوع الشمس من مغربها :**

من الأشراط الكبرى الدالة على قرب يوم القيامة : طلوع الشمس من مغربها ، وهو على ظاهره ، أي أن الشمس آخر الزمان تطلع من جهة مغربها، قال ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لمْ تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً)**[1].

ومن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[2] ، قال أكثر المفسرين بأن المراد بقوله: ﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: طلوع الشمس من مغربها.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوماً: **(أتدرون أين تذهب**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، ح ٦٥٠٦ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ح١٥٧.

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٥٨.

**هذه الشمس؟)** قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: **(إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة فلا تزال كذلك ، حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة ، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش ، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك ، فتصبح طالعة من مغربها)** فقال رسول الله ﷺ: **(أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً)**[1] ، وسجود الشمس هو سجود حقيقي؛ إذ يسجد لعظمة الله تعالى كل شيء طوعاً وكرهاً ، وسجود كل شيء مما يختص به ، فنؤمن به ولا نكذبه ولا نكيفه.

وقد دلت النصوص الشرعية على أن الشمس إذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة ، فلا يقبل الإيمان ممن لم يكن قبل ذلك مؤمناً ، كما لا تقبل توبة العاصي؛ وذلك لأن طلوع الشمس من مغربها آية عظيمة يراها كل من كان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، مختصراً ، كتاب التفسير ، باب (والشمس تجري لمستقر لها) ح٤٨٠٢ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ح١٥٩.

في ذلك الزمان ، فتنكشف لهم الحقائق ، ويشاهدون من الأهوال مما لم يألفوه ما يلجئهم إلى التصديق والإذعان لله تعالى وآياته ، وحكمهم في ذلك حكم من عاين بأس الله تعالى ، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

وذكر أهل العلم بأنه لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة ، وتفتر كل قوة فيهم ، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت ، في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم ، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته ، كما لا تقبل توبة من حضره الموت.

وقال ﷺ : (**لا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب ، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه ، وكفى الناس العمل**)[2].

---

(١) سورة غافر ، الآيتان ٨٤، ٨٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٣٣ وقال محققه أحمد شاكر « إسناده صحيح» وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٥١ وقال : «رجال أحمد ثقات » ، وقال ابن كثير في النهاية في الفتن ١/ ١٧٠ : «وهذا إسناد جيد قوي ».

وفي حديث آخر قال ﷺ: (**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار**، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)[١]، فهذه النصوص الشرعية الصحيحة صريحة بأن الشمس إذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة، ولم يفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع، بل يمتد إلى يوم القيامة.

*** الدابـــة :**

أخبر الله تعالى أنه في آخر الزمان، وعند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى يخرج تعالى من الأرض دابة تكلم الناس بأنهم كانوا بآيات الله تعالى لا يوقنون، وهي علامة عظيمة من الأشراط الكبرى للساعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[٢].

وقال ﷺ: (**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحىً، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً**)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والتوبة والاستغفار، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت، شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/ ٧٦.

(٢) سورة النمل الآية ٨٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب خروج الدجال ح٢٩٤١.

والذي يجب اعتقاده هو أن الله تعالى سيخرج للناس في آخر الزمان دابة من الأرض تكلمهم وتخاطبهم خطابا يفهمونه ، فيكون تكليمها آية لهم دالة على أنهم مستحقون للوعيد بتكذيبهم آيات الله تعالى ، وكذلك فهي تسم المؤمن والكافر ، فأما المؤمن فإنها تجلو وجهه حتى يشرق ، ويكون ذلك علامة على إيمانه ، وأما الكافر ، فإنها تخطمه على أنفه فتجرحه علامة على كفره.

فإذا خرجت الدابة فهم الناس وعلموا أنها الآية الدالة على قرب الساعة، وقد كانوا قبل ذلك لا يؤمنون بآيات الله تعالى واليوم الآخر.

والدابة تخرج في ضحى ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من مغربها ، ويغلق فيه باب التوبة؛ ولذا فهي تسم الناس وتكلمهم مفرقة بين المؤمن والكافر ، ففي الحديث: (**تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يغمرون فيكم ، حتى يشتري الرجل البعير ، فيقول ممن اشتريته؟ فيقول: من أحد المخطمين**)[1].

*** النار التي تسوق الناس إلى محشرهم:**

من علامات قرب يوم القيامة ، بل لعلها آخر العلامات الدالة على قرب القيامة وتحقق وقوعها: نار عظيمة تخرج من بحر حضرموت وتنتشر في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٦٨ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣/ ٣٧ح ٢٩٢٤.

الأرض ويـأتي بعـضها مـن قبـل المـشرق ، تلحـق النـاس وتـسوقهم إلى محشرهم الدنيوي ، وهو أرض الشام ، جاء في الحديث: (**ستخرج نـار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس**)[١] .

وقال ﷺ: (**يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار ، تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسي معهم حيث أمسوا**)[٢] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس**) قلنا: يا رسول الله فماذا تأمرنا؟ قال: (**عليكم بالشام**)[٣].

وهذا الحشر المذكور في هذه الأحاديث وغيرها ، سيكون في الدنيا ، وليس المراد به حشر الناس بعد البعث من القبور ، وإنما هو حشر في الدنيا،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٧/ ١٣٣ ، وقال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣/ ٢٠٣ح ٣٦٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الحشر ح ٦٥٢٢ ، ومسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ح٢٨٦١.

(٣) سبق تخريجه قبل قليل.

قبيل القيامة وقبيل النفخ في الصور.

*** الموت وسكراته :**

للموت وقت قدره الله تعالى ، لا يستطيع أحد أن يتجاوزه ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾[١] ، وقال سبحانه: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[٢] ، وقال: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[٣] ، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾[٤].

ولا يعلم متى وأين يموت العبد ، لا يعلم ذلك إلا الله تعالى ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٥].

فإذا حان الوقت الذي قدره الله تعالى لوفاة العبد أرسل تعالى رسل الموت من الملائكة لقبض روح عبده ، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ

---

(١) سواء آل عمران ، الآية ١٤٥.

(٢) سورة النساء ، الآية ٧٨.

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٣٤.

(٤) سورة الجمعة ، الآية ٨.

(٥) سورة لقمان ، الآية ٣٤.

وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[1].

وملائكة الموت تأتي المؤمن في صورة حسنة جميلة ، وتأتي الكافر والمنافق في صورة مخيفة ، ففي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: (**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد بصره ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء ، فيأخذها....**

**وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد سود الوجوه ، معهم المسوح من النار ، فيجلسون منه مد البصر ، تم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال: فتفرق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود ، الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب**)[2].

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٦١.

(٢) أخرجه أبو داود ٢/ ٢٨١ وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٧ ، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٧ وقال: صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص٥٩.

وقد صرح الحديث بأن ملك الموت يبشر المؤمن بالمغفرة من الله والرضوان، ويبشر الكافر بسخط الله وغضبه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[1].

فهذا التنزل يكون حالة الاحتضار، حين يخاف العبد من مستقبله، كما يخاف على من خلف بعده، كما يكون أيضاً في القبر وحين البعث، وقال تعالى عن قبض روح الكافر والفاجر: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2].

أي ولو ترى يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمراً عظيماً فظيعاً منكراً؛ إذ يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون ذوقوا عذاب الحريق.

وللموت سكرات يلاقيها كل إنسان حين الاحتضار، والسكرات هي كربات نزع الروح وشدائدها وغمراتها، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[3]، وقد اشتدت السكرات على رسول الله ﷺ،

---

(١) سورة فصلت، الآيات ٣٠-٣٢.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان ٥٠-٥١.

(٣) سورة ق، الآية ١٩.

ففي مرض موته كان بين يديه ركوة ماء ، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: **(لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات)**[1].

والكافر والفاجر يعانيان من الموت وسكراته شدة عظيمة ، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، ومن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[2]، وذلك أن الملائكة تبشر الكافر بالعذاب والنكال وغضب الرحمن ، فتتفرق روحه في جسده وتأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم.

فالملائكة حين قبض الروح تبشر المؤمن برضى الرحمن وجنته؛ فيظهر عليه الفرح والسرور ، وتبشر الكافر بغضب الرحمن وعقوبته ، فيضيق ويحزن ، قال ﷺ : **(من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت ، قال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه ،**

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب سكرات الموت ح ٦٥١٠.

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٩٣.

**فكره لقاء الله ، وكره الله لقاءه)**[١].

ومن الفتن حين الاحتضار أن يكون الشيطان أحرص ما يكون على إغواء الإنسان وقت موته؛ لأنه وقت الحاجة ، وهذا يشمله قوله ﷺ : **(إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه...)**[٢].

*** ظلمة القبر وضمته:**

القبور مظلمة على من فيها إلا من نورها الله تعالى عليه، قال ﷺ:**(إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها،وإن الله عز وجل منورها لهم بصلاتي عليهم)**[٣].

وعندما يوضع الميت في قبره يضمه ضمة ، لابد منها لكل أحد ، فعندما دفن الصحابي الجليل سعد بن معاذ ، قال ﷺ: **(هذا الذي تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ، لقد ضم ضمة، ثم فرج عنه)**[٤] ، وقال ﷺ: **(إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها نجا سعد**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ح ٦٥٠٧.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الأشربة ، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة ح ٢٠٣٣.

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الصلاة على القبر ح٩٥٦.

(٤) أخرجه النسائي ، كتاب الجنائز ، باب ضمة القبر وضغطته ٤/ ١٠٠ ، وقال الألباني: سنده صحيح على شرط مسلم ، انظر مشكاة المصابيح ١/ ٤٩.

**ابن معاذ)**[١] ، وفي رواية قال ﷺ : **(لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد بن معاذ ، ولقد ضم ضمة ، ثم روخي عنه)**[٢] ، وعندما قبر صبي قال ﷺ : **(لو أفلت أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي)**[٣].

*** سؤال المَلَكين :**

سؤال الملكين ، ويسمى بفتنة القبر ، هو الامتحان والاختبار للميت حين يسأله الملكان ، وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في هذه الفتنة ، فمن ذلك قوله ﷺ: **(إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما: المنكر ، وللآخر: النكير ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله... وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله ، لا أدري...)**[٤] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٥٥ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٢٦٨ ح١٦٩٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٩٨ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٩٣٨ ح ٥٣٠٦.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١/ ٩٣ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٤٧ ، وقال: رجاله رجال الصحيح ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/ ١٩٥ ح٢١٦٤.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر ٣/ ٣٨٣ ،

وعن البراء بن عازب عن الرسول ﷺ قال: (فيأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1]، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ فينادي مناد أن صدق عبدي) ثم قال في الكافر أو الفاجر: (ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد، فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون ذاك، فيقولان: لا دريت ولا تليت، فينادي مناد أن كذب عبدي...)[2].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك

---

وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١/ ١٨٦ ح٣٣٨، وفي السلسلة الصحيحة ٣/ ٣٧٩ ح ١٣٩١.

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

(٢) سبق تخريجه.

**الله بـه مقعـداً مـن الجنـة ، قـال النبـيﷺ: فيراهمـا جميعـاً ، وأمـا الكـافر أو المنافق فيقول: لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس فيه ، فيقال: لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)**[1].

وفتنة القبر ، أي سؤال الملكين ليست خاصة بالمؤمنين والمنافقين ، بل هي عامة للكافر والمنافق والمسلم ، كما أنها ليست خاصة لهذه الأمة ، بل هي لهذه الأمة ولغيرها ، واختلف في ابتلاء الأنبياء ، وكذلك ابتلاء غير المكلفين ، من المجانين والصبيان.

فالأدلة السابقة وغيرها ، تدل على أن روح الميت ترد إليه في قبره ، حيث يسأل حين يوضع في قبره ، ويجلس ويستنطق حقيقة ، وعود الروح إلى بدن الميت ليس مثل عودها إليه في الحياة الدنيا ، وإن كان ذاك قد يكون أكمل من بعض الوجوه.

وعذاب القبر ونعيمه من علم الغيب ، الذي يعتمد فيه على النصوص الشرعية الصحيحة ، وأحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا ، وعدم إدراك الإنسان للشيء لا يدل على عدم وجوده.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خفق النعال ح١٣٣٨ ، ومسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ح ٢٨٧٠.

*** نعيم القبر وعذابه:**

إذا مات العبد يكون في نعيم أو عذاب ، وذلك يحصل لروحه وبدنه ، فالروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وتتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب.

فالنفس تنعم وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن ، والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون ذلك على الروح منفردة عن البدن ، وقال بعض أهل العلم بأن النعيم والعذاب قد يكون أيضا على البدن بدون الروح.

وعذاب القبر ونعيمه ، وسؤال الملكين يحصلان لكل من مات ، سواء أقبر أم لم يقبر ، دفن أم لم يدفن ، فهو اسم لعذاب البرزخ ونعيمه ، والبرزخ هو ما بين الدنيا والآخرة ، أي مكث العبد في قبره ، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1] ، وسمي عذاب القبر ونعيمه ، باعتبار الغالب ، وإلا فان المصلوب والمحروق والغريق ، ومن أكلته السباع ، ونحو ذلك ، يناله من عذاب البرزخ ونعيمه حسب ما تقتضيه أعماله.

ومن الأدلة على عذاب القبر قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

(١) سورة المؤمنون ، الآية ١٠٠.

عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾[1] فمن مات منهم عذب في البرزخ، ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا والبرزخ.

وقوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[2] فذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا، لا يحتمل غيره، فدل على ثبوت عذاب القبر.

ومن السنة ما ثبت أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: **(إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدة فشقها نصفين، فقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)**[3]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: **(إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال)**[4].

---

(١) سورة الطور، الآيات ٤٥- ٤٧.

(٢) سورة غافر، الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ح ٢١٦، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ح ٢٩٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر ح ١٣٧٧.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علي عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم ، قالت: فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها ، قالت: فخرجت ودخل علي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن عجوزاً من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم ، فقال: (**صدقت إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها**) قالت: فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر(١).

وجاء في الحديث أن (**أرواح الشهداء في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل**)(٢).

*** أسباب عذاب القبر:**

**أهل القبور يعذبون في قبورهم لأسباب منها:**

١- جهلهم بالله تعالى وإضاعتهم لأمره ، وارتكابهم معاصيه ، فعذاب القبر وعذاب الآخرة ، أثر غضب الله وسخطه ، فمن أغضب الله وأسخطه في الدنيا بارتكاب مناهيه ، ولم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه.

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ح ٥٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ح ١٨٨٧.

٢- المشي بالنميمة.

٣- عدم الاستتار والتنزه من البول.

٤- الصلاة بغير طهور، وعدم نصرة المظلوم، وعدم العمل بالقرآن.

٥- الزنا، وأكل الربا، والتثاقل عن صلاة الفجر، ومنع الزكاة.

٦- إيقاد الفتنة بين الناس.

٧- التجبر، والتكبر، والرياء، والهمز، واللمز، وغير ذلك مما يغضب الله ويسخطه.

*** مستقر الأرواح من الموت إلى قيام الساعة :**

الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فهي تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة، وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض، ولذة ونعيم، وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير، فهنالك الحبس والألم والعذاب، والمرض والحسرة، وهنالك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق.

فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه

عن دخول الجنة لدين عليه ، أو غيره ، ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة ، ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون مقره باب الجنة، كما دلت الأحاديث على ذلك.

ومنها ما جاء في الحديث : (**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**)[1]، وهي أرواح عامة المؤمنين.

ومنها ما يكون محبوساً في الأرض لم يعل إلى الملأ الأعلى؛ فإنها كانت روحاً سفلية أرضية ، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا.

ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني ، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة.

والخلاصة أنه ليس للأرواح ، سعيدها وشقيها ، مستقر واحد ، بل روح في أعلى عليين ، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض ، فالنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها و محبته وذكره والأنس به والتقرب إليه بل هي أرضية سفلية: لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك ، كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره ، والتقرب إليه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٥٥، ٤٥٦ ، والنسائي في سننه ٤/ ١٠٨، وابن ماجة في سننه ح٤٢٧١ ، ومالك في الموطأ ١/ ٢٤٠ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٤٢٣ ح٣٤٤٦ .

والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها.

فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة ، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد ، ويجعل المؤمن مع الأرواح الطيبة المشاكلة ، فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها ، وأخواتها وأصحاب عملها ، فتكون معهم هناك.

*** لا يشهد للمعين بجنة ولا نار إلا من شهد له الرسول ﷺ :**

لا يجوز أن يشهد لإنسان معين من أهل القبلة بجنة ولا نار؛ لأننا لا نعلم حقيقة باطنه وما مات عليه ، إلا من شهد له الرسول ﷺ ، وأخبر بأنه من أهل الجنة كالعشرة ونحوهم ، ولكن يرجى للمحسنين من المؤمنين أن يعفو الله تعالى عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ، ويستغفر لمسيئهم ويخاف عليهم.

ويشهد للمؤمنين والمتقين على العموم بأنهم من أهل الجنة ، وأن الكفار والمشركين والمنافقين من أهل النار ، كما دل على ذلك القرآن والسنة ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾[1] ، وقوله عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾[2] ، وقوله سبحانه في الكفار: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ

(١) سورة الطور ، الآية ١٧.

(٢) سورة التوبة ، الآية ٧٢.

عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾[1]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[2] وغير هذا من الآيات الكثيرة.

* البعـــث :

إذا حشر الخلق إلى أرض محشرهم الدنيوي ، في الشام ، وجمعوا هناك، وتحقق وعد الله تعالى بالفناء أمر إسرافيل عليه السلام ، لينفخ في الصور ، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[3] ، والصور هو قرن عظيم ينفخ فيه الملك بأمر الله تعالى نفخة هائلة مدمرة ، يسمعها المرء فلا يستطيع أن يوصي بشيء ، ولا يقدر على العودة إلى أهله ، قال تعـــالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾[4] ، بهذه النفخة العظيمة ، والصيحة المهولة ، يهلك الله تعالى جميع الأحياء إلا من شاء الله عز وجل.

فإذا أراد الله تبارك وتعالى إعادة العباد وإحياءهم أمر إسرافيل فنفخ في

---

(١) سورة فاطر ، الآية ٣٦.

(٢) سورة النساء ، الآية ١٤٥.

(٣) سورة الزمر ، الآية ٦٨.

(٤) سورة يس ، الآيتان ٤٩ ، ٥٠.

الصور ، فبعثت الأجساد من القبور وعادت إلى الأرواح ، وقام الناس إلى رب العالمين ، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1] ، و قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[2].

وجاء في الحديث قوله ﷺ: **(ما بين النفختين أربعون)** ، قالوا: يا أبا هريرة ، أربعون يوماً؟ قال: أبيت ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت ، قالوا: أربعون سنة؟ قال أبيت[3] ، وقال ﷺ: **(ثم ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا ، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله ، قال: فيصعق ويصعق الناس ، ثم يرسل الله مطراً كأنه الطلّ أو الظل ، فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)**[4].

فالمراد بالبعث هو إخراج الموتى من قبورهم ، وإعادة أرواحهم إلى

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٦٨.

(٢) سورة يس ، الآيات ٥١- ٥٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الزمر ح٤٩٣٥ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ما بين النفختين ح ٢٩٥٥.

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في خروج الدجال ح ٢٩٤٠.

أجسادهم وذلك يكون بإعادة الأجساد التي كانت في الدنيا لتلقى مع أرواحها الثواب والعقاب ، وهذا هو الذي استبعده الكفار وأنكروه ، قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾(١).

ومما يدل على أن الأجساد التي في الدنيا هي التي تعاد قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(٢) ، وقوله : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(٣). فالتي تتكلم وتشهد هي ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ، حيث تشهد على المعاصي التي عملها أصحابها في الدنيا.

فالله تعالى يعيد يوم القيامة العباد أنفسهم ، ولكنهم يخلقون خلقاً مختلفاً في بعض الوجوه ، فالنشأتان: الأولى والإعادة نوعان تحت جنس ، يتفقان ويتماثلان ويتشابهان من وجه ، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر؛ ولهذا جعل المعاد هو المبدأ ، وجعله مثله أيضاً ، فباعتبار اتفاق المبدأ والمعاد فهو هو ، وباعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله ، وهكذا كل ما أعيد ، فلفظ الإعادة

---

(١) سورة ق ، الآيات ٢-٤.

(٢) سورة يس ، الآية ٦٥.

(٣) سورة النور ، الآية ٢٤.

يقتضي المبدأ والمعاد.

والإنسان يتكون في يوم القيامة من عظم صغير، عندما يصيبه الماء ينمو كالنبات، وهذا العظم هو عجب الذنب، وهو عظم صلب مستدير في أصل الذنب، قال ﷺ: (**ما بين النفختين أربعون ثم ينزل من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**)(١).

ومن أدلة البعث قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾(٣)، والبعث يكون لكل من مات قبر أو لم يقبر، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

وأول من ينشق عنه القبر رسولنا محمد ﷺ، لقوله ﷺ: (**أنا سيد ولد آدم**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً) ح٤٩٣٥، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين ح ٢٩٥٥.

(٢) سورة التغابن، الآية ٧.

(٣) سورة الحج، الآيتان ٦، ٧.

(٤) سورة النحل، الاية ٣٨.

يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع)[١].

ويأتي في القرآن الكريم تقرير أمر البعث ببيان أمور منها:

١- التنبيه بخلق الإنسان أول مرة ، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[٢] ، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾[٣] ، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ ﴾[٤].

٢- التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها ، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[٥] ، وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق ح ٢٢٧٨.

(٢) سورة يس الآيتان ٧٨ ، ٧٩.

(٣) سورة الروم ، الآية ٢٧.

(٤) سورة الحج ، الآية ٥.

(٥) سورة الحج ، الآيات ٥-٧.

(٦) سورة فصلت ، الآية ٣٩.

٣- التنبيه بخلق السموات والأرض ، وخلقهن أعظم من خلق الناس ، قـــال تعـــالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١] ، وقـــال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢].

*** الحشـــر :**

بعد البعث يحشر الله تعالى الخلائق إلى أرض الموقف ، ويحشر الناس حفاة عراة غرلا ، قال ﷺ: ( **إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً**)[٣] ، ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[٤] ، وعندما سمعته عائشة رضي الله عنها يحدث بهذا قالت: يا رسول الله ، الرجال والنساء جميعا ، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: (**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**) .

وأول من يكسى من الخلائق يوم القيامة إبراهيم عليه السلام،قال ﷺ : (**إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل**)[٥].

---

(١) سورة غافر ، الآية ٥٧.

(٢) سورة الأحقاف ، الآية ٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الحشر ح ٦٥٢٧ ، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا.. ح ٢٨٥٩.

(٤) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٤.

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الحشر ح ٦٥٢٨.

والأرض التي يحشر العباد إليها يوم القيامة هي الأرض المبدلة ، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾(١) ، وقال ﷺ: **(يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي)**(٢).

والحشر يجمع الناس جميعاً ، الأولين والآخرين قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾(٣) ، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾(٤).

وفي الموقف العظيم ، أرض المحشر ، تدنو الشمس من الخلق ، قال ﷺ: **(تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً)** ، وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه(٥).

عندئذ يستشفع الناس إلى الله تعالى بأولي العزم من الرسل؛ لتخليصهم مما هم فيه من الشدة ، فيسألونهم واحداً بعد واحد ، فكلهم يقول: لست لها

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٤٨.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب يقبض الله الأرض ح٦٥٢١ ، ومسلم كتاب صفات المنافقين ، باب البعث والنشور ح ٢٧٩٠

(٣) سورة هود ، الآية ١٠٣.

(٤) سورة الواقعة ، الآيات ٤٩ ، ٥٠.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة ح٢٨٦٤.

حتى ينتهون إلى محمد ﷺ ،فيقول: أنا لها ، أنا لها ، فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء ؛ فيشفعه الله في ذلك ، وهي أول الشفاعات ، وهي المقام المحمود ، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء ، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفا ، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾(١) ، وهذه هي الشفاعة العظمى ، وهي النوع الأول من أنواع الشفاعات.

**النوع الثاني**: الشفاعة فيمن يستحق النار أن لا يدخلها ، ويدل لذلك قول النبي ﷺ وغيره من الأنبياء ، على الصراط: **(اللهم سلّم سلّم)**(٢).

**النوع الثالث**: الشفاعة في رفع درجات من يدخل الجنة ، فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم ، ومما يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾(٣) ، ومنه رفع درجات زوجاته ﷺ إلى درجته.

---

(١) سورة الفجر ، الآية ٢٢ ، والحديث في هذا أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح ٧٥١٠ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ١٩٣.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ح ٧٤٣٩ ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ح ١٨٣.

(٣) سورة الطور ، الآية ٢١.

**النوع الرابع**: الشفاعة لدخول الجنة بغير حساب ، ويدل له دعاؤه ﷺ لعكاشة ابن محصن ، ليكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب[١].

**النوع الخامس**: شفاعته ﷺ في دخول أهل الجنة الجنة ، قال ﷺ: **(أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً)**[٢] ، وهذا النوع خاص بالرسول محمد ﷺ.

**النوع السادس**: شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب حتى جعل في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه[٣].

**النوع السابع**: الشفاعة في إخراج أهل الكبائر من النار ، وقد تواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ ، ومنها قوله ﷺ: **(لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً)**[٤] ، وهذه

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب اللباس ، باب البرود والحبر والشملة ح ٥٨١١ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ح٢١٦ و ٢٢٠.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ : أنا أول الناس يشفع في الجنة ... ح ١٩٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب ح ٣٨٨٣ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه ح ٢٠٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب لكل نبي دعوة مستجابة ح

الشفاعة تحصل من الملائكة والنبيين والمؤمنين ، لقوله ﷺ : (**فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين...**)[1] الحديث.

والشفاعة في اللغة هي الطلب والوسيلة ، وهي طلب الخير للغير ، وقيل هي من الشفع الذي هو ضد الوتر ، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له.

والشفاعة حق ثابتة بشرطين:

**أحدهما**: إذن الله للشافع أن يشفع؛ لأن الشفاعة ملك لله تعالى ، قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[2].

**ثانيهما**: رضا الله تعالى عن المشفوع له ، وذلك بأن يكون من أهل التوحيد؛ لأن المشرك لا تنفعه الشفاعة.

ودليل الشرطين قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[3].

---

٦٣٠٤ ، ومسلم كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ح ١٩٩.

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ح ١٨٣.

(٢) سورة الزمر ، الآية ٤٤.

(٣) سورة النجم ، الآية ٢٦.

* العرض والحساب وقراءة الكتاب:

المراد بالعرض: عرض الخلائق على الله تعالى يوم القيامة، ليحاسبهم على أعمالهم، قال تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(٣).

والمراد بالحساب: تعريف الله تعالى العباد مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم بما قد نسوه منها، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾(٤)، ويقول سبحانه: ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(٥)، وقال: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾(٦).

---

(١) سورة الكهف، الآية ٤٨.

(٢) سورة الحاقة، الآية ١٨.

(٣) سورة هود، الآية ١٨.

(٤) سورة المجادلة، الآية ٦.

(٥) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٦) سورة الغاشية، الآيتان ٢٥ -٢٦.

وقال رسول الله ﷺ: (**من نوقش الحساب عذب**) قالت عائشة: فقلت أو ليس يقول الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[١]. فقال: (**إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك**)[٢].

والحساب متفاوت، فمنه الحساب العسير، ومنه الحساب اليسير، فإن الله تعالى يحاسب العباد، فيخلو بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه، كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكافر فلا يحاسب محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات له، ولكن تعد أعماله وتحصى، فيوقف عليها ويقرر بها.

وأول ما يحاسب عنه العبد صلاته، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء، ومن الحساب إجراء القصاص بين العباد، فيقتص للمظلوم من الظالم.

وإثبات الحساب هو مقتضى الحكمة؛ فإن الله تعالى أرسل رسله وأنزل كتبه، وفرض على العباد اتباع شرعه، فكان من الحكمة أن يكون هناك جزاء وحساب على الاتباع والامتثال.

وفي موقف الحساب والجزاء تنشر الصحف وتؤتى الكتب، والصحف هي الكتب التي كتبها الملائكة، وأحصوا فيها ما فعله كل عبد في الحياة

---

(١) سورة الانشقاق، الآية ٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب ح ٦٥٣٦، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب ح ٢٨٧٦.

الـدنيا مـن الأقـوال والأعـمال ، قـال تعـالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[1] ، فمنهم من يعطى كتابه بيمينه ، ومنهم من يعطى كتابه بشماله ومـن وراء ظهـره ، قـال تعـالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾[2] ، ثـم قـال تعـالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾[3].

*** الميـــزان :**

ومن الإيمان بـاليوم الآخـر: الإيـمان بـالميزان ، وهـو ميـزان ينـصب يـوم القيامة لوزن أعمال العباد ، وتمييزها ، وإظهار مقاديرها.

وهو ميزان حقيقي له كفتان ، لا يعلـم قـدره وكيفيتـه إلا الله تعـالى ، فهـو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب.

فالمقصود بالميزان ما توزن به الأعمال ، وهو غير العـدل ، كـما دل عـلى ذلك الكتاب والسنة ، فالأعمال توزن بموازين يتبين بهـا رجحـان الحسنات

---

(١) سورة الإسراء ، الآيتان ١٣ ، ١٤.

(٢) سورة الحاقة ، الآية ١٩.

(٣) سورة الحاقة ، الآيات ٢٥ - ٢٩.

على السيئات ، وبالعكس ، فالميزان يتبين به العدل ويظهر؛ إذ أن الحكمة من وزن الأعمال: إظهار عدل الله تعالى ، وإيقاف العبد على أعماله؛ فإنه سبحانه وتعالى عليم بكل شيء ، ومن ذلك أعمال العباد.

فالأعمال تحصى ثم توزن ، فمن ثقلت موازينه نجا ، ومن خفت موازينه هلك ، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[2].

والأعمال وإن كانت أعراضاً فإنها توضع في الميزان ، والوزن كما يكون للأعمال يكون لصحائف الأعمال ، كما في حديث البطاقة والسجلات[3] ، ويكون أيضاً للعامل نفسه ، لقوله ﷺ عن ساقي ابن مسعود: **(والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد)**[4].

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٤٧.

(٢) سورة الأعراف ، الآيتان ٨ ، ٩.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي ح ٢٦٣٩ وحسنه ، والحاكم في المستدرك ١/ ٦ وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح ١٣٥.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ح ٣٩٩١ ، وحسنه محققه ، وقال ابن كثير: ( تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي) النهاية ٢/ ٢٩.

ومما يدل على وزن الأعمال من السنة قوله ﷺ: **(كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)**[١].

*** الحـــوض :**

مما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بحوض نبينا ﷺ ، والأحاديث فيه متواترة عن رسول الله ﷺ ، ومما جاء في صفته قوله ﷺ: **(حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبداً)**[٢] وفي رواية: **(حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورق ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً)**[٣].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في وصف الحوض: **(يشخب فيه ميزابان من الجنة ، من شرب منه لم يظمأ ، عرضه مثل طوله ،**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب فضل التسبيح ح٦٤٠٦ ، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ح ٢٦٩٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ح٦٥٧٩ ، ومسلم كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ وصفاته ٢٢٩٢.

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ح٢٢٩٢.

**ما بين عمان إلى أيلة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل)**[١].

ومن الناس من يذاد عن ورود الحوض ، قال ﷺ: **(أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن رجال منكم ، ثم ليختلجن دوني ، فأقول: يا رب أصحابي ، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)**[٢].

والذين يذادون عن الحوض ويطردون عنه هم كل من ارتد عن دين الله تعالى ، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به ، أو خالف جماعة المسلمين ، وكذا الظلمة ، المسرفون في الجور والظلم ، وطمس الحق وإذلال أهله ، ونحو هؤلاء ، كالمعلنين بكبائر الذنوب ، المستخفين بالمعاصي.

*** الصـــــراط :**

مما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالصراط: وهو جسر منصوب على متن جهنم ، يمر عليه المؤمنون ، من الأولين والآخرين ، للوصول إلى الجنة ، على قدر أعمالهم ، فمن جازه سلم من جهنم ودخل الجنة.

والمرور على الصراط للمؤمنين فقط ، بعد مفارقة الناس لموقف الحساب ، وأخذ الكفار إلى النار.

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ح ٢٣٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ح٦٥٧٦.

فالأمم الكافرة والمشركة تتبع ما كانت تعبد من آلهة دون الله تعالى ، فتدخل معها النار ، قبل نصب الصراط ، ثم ينصب الصراط للمؤمنين ، والعصاة منهم.

جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (...فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا نعم ، قال: فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق بعمله ، ومنهم من يخردل ثم ينجو)[1].

وفي حديث آخر: (وترسل الأمانة والرحم ، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالاً ، ويمر أولكم كالبرق ، قال: قلت: بأبي أنت وأمي ، أي شيء كمر البرق؟ قال: أو لم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير وشد الرجال ، تجري بهم أعمالهم ، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلّم سلّم ، حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً ، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم ح ٦٥٧٣ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ح ١٨٢.

**معلقة، مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج ، ومكدوس في النار)**[1].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قوله: (**... ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ، ويقولون: اللهم سلم سلم ، قيل: يا رسول الله ، وما الجسر؟ قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلّم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم**)[2].

أسأل الله تعالى بفضله وكرمه أن يكتب لنا السلامة والعافية والنجاة من النار ، ومجاوزة الصراط إلى جنات النعيم.

وبعد المرور على الصراط والنجاة من النار ، وقبل دخول الجنة ، يوقف المؤمنون في قنطرة ، بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا ، تنقية لقلوبهم ، حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعض غلٍ ، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ١٩٥.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى: ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ) ح٧٤٣٩ ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ح ١٨٣.

(٣) سورة الحجر ، الآية ٤٧.

* الجنـــة والنـــار :

ومما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار ، وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن ، وأنهما باقيتان لا تفنيان ، فقد أعد الله تعالى الجنة لأوليائه المؤمنين ، وأعد النار لأعدائه الكافرين.

فمن الأدلة على أن الجنة مخلوقة موجودة الآن معدة للمؤمنين قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1] ، وقوله: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

ومن الأدلة على أن النار مخلوقة موجودة الآن معدة للكافرين ، قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾[3] ، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[4] ، وقوله:

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٠

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٣٣.

(٣) سورة الفتح ، الآية ٦.

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٣١.

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

ومن أدلة السنة على كون الجنة والنار موجودتين الآن ، حديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ، في صلاة الكسوف ، وفيه: قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ، ثم رأيناك كعكعت ، قال ﷺ: (**إني رأيت الجنة ، فتناولت عنقوداً ، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، وأُريت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع،...**)[2].

ومن الأدلة على أن الجنة باقية لا تفنى وأهلها منعمون فيها مخلدون إلى غير نهاية قوله عز وجل: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3] ، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾[4] ، وقوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف جماعة ح ١٠٥٢ ، ومسلم ، كتاب الكسوف ، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف ح ٩٠٧.

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥.

(٤) سورة الكهف ، الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨.

هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[١].

ومن الأدلة على أن النار باقية لا تفنى ، والكفار معذبون فيها مخلدون إلى غير نهاية قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٢] ، وقال سبحانه: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾[٣] ، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[٤]،

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة ، ورؤيتهم لربهم في الجنة هو أكبر نعيم يحصل لهم فيها ، ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾[٥] ، وقوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٦] ، فالحسنى هي الجنة ، والزيادة هي النظر إلى وجه الله عز وجل ، وقوله ﷺ : (**إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً**

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٤٨.

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٩.

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٦٧.

(٤) سورة المائدة ، الآية ٣٧.

(٥) سورة القيامة ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣.

(٦) سورة يونس ، الآية ٢٦.

**أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، ثم تلا هذه الآية: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)**[1] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

هذا هو الركن الخامس ، من أركان الإيمان ، وهو الإيمان باليوم الآخر ، وما يتضمنه من الإيمان بأشراط الساعة ، وبالموت وسكراته ، وبالقبر وضمته وفتنته وعذابه ونعيمه ، والبعث والنشور ، وما فيهما من أهوال عظيمة ، ثم الحساب والجزاء ، ثم المستقر الأخير في الجنة أو النار.

فعلى العاقل اللبيب أن يعتني بهذا الركن العظيم تعلماً وتدبراً؛ فإن ذلك مما يرغب في فعل الطاعات والحرص عليها؛ رجاء لثواب ذلك اليوم العظيم؛ ومما يرهب من فعل المعاصي أو الرضا بها؛ خوفاً من عقاب ذلك اليوم المهول ، وفي تدبر تلك الأحوال وما تتضمنه من ثواب ونعيم تسلية للمؤمن عما يفوته من الدنيا.

أسأل الله الكريم ، رب العرش العظيم أن يرزقنا الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل ، وأن يعيذنا من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

* * *

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ح١٨١.

## الركن السادس
## الإيمان بالقدر خيره وشره (القضاء والقدر)

*** تعريف القضاء والقدر :**

**في اللغة :**

**القدر** بفتح الدال وقد تسكن: الإحاطة بمقدار الشيء وكميته ، كما يأتي بمعنى التقدير ، وحقيقة الشيء ونهايته.

**القضاء**: مصدر قضى يقضي بمعنى حكم وأمضى ، وهو إتمام الشيء والفراغ منه.

**في الشرع :**

**(القضاء والقدر)**: ما سبق به العلم ، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد ، وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل ، وعلمه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى ، وعلى صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها ، وأرادها سبحانه وتعالى.

والقضاء والقدر إذا اجتمعا بالذكر في سياق واحد ، تفرقا في المعنى ، فيكون القضاء بمعنى: الخلق والإيجاد، وكل ما قضى به الله تعالى في خلقه،

ويكون القدر بمعنى: العلم السابق، وما قدره الله تعالى في الأزل، أما إذا تفرقا بالذكر فيصبح معناهما مترادفاً، وهو التعريف الشرعي سابق الذكر.

*** المراد بالإيمان بالقضاء والقدر:**

هو الإقرار الجازم مع الإذعان بأن الله تعالى علم الأشياء قبل كونها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ في الأزل، وشاءها وأرادها، ثم خلقها وأوجدها حسب تقديره سبحانه وتعالى لها.

*** وجوب الإيمان بالقدر ومنزلته في الدين :**

الإيمان بالقدر خيره وشره، واجب، فهو ركن من أركان الإيمان وأصوله العظام، فمن أنكره فقد كفر؛ لإنكاره أصلاً من أصول الإيمان، ولا يتحقق الإيمان بالله إلا بالإيمان بالقضاء والقدر، خيره وشره.

والأدلة على القدر كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1]، وقول سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾[2]، وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[3] إلى

---

(١) سورة القمر، الآية ٤٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥١.

(٣) سورة الحديد، الآية ٢٢.

غير ذلك من الآيات الكثيرة.

ومن السنة أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان**)[١] .

وقوله ﷺ: (**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ، أو الكيس والعجز**)[٢].

ولابد للمسلم من الإيمان بالقدر ومراتبه وأنواع التقدير ، الآتي ذكرها ، فمن جحد شيئاً منها لم يكن مؤمناً بالقدر ، ومن لم يؤمن بالقدر ، فقد جحد ركنا من أركان الإيمان.

ومن أنكر القدر خيره وشره ، أو أنكر بعض درجاته ومراتبه ، أو غالى في إثباته حتى زعم أن الله يجبر العباد على أفعالهم ، أو احتج به على المعاصي ، أو طعن في حكمة الله وعدله؛ فإنه قد وقع في الخوض في القدر ، وقد نهانا الله تعالى ورسوله ﷺ عن الخوض في القدر.

فيجب على المرء تعلّم مسائل القدر ، والعناية بهذا الركن العظيم ، تصديقاً وإذعاناً ، مع الحذر من الخوض فيه بالباطل.

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ح ٢٦٦٤.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب القدر ، باب كل شيء بقدر ح ٢٦٥٥.

*** مراتب الإيمان بالقدر :**

الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربع درجات هي:

**الأولى:** الإيمان بأن الله تعالى قد علم ما كان وما يكون ، وعلم أحوال عباده ، وعلم أرزاقهم ، وآجالهم ، وأعمالهم ، وغير ذلك من شؤونهم ، لا يخفى عليه شيء من ذلك سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[1] ، وقوله: ﴿لِّتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[2].

**الثانية:** الإيمان بأن الله تعالى قد كتب كل ما قدره وقضاه في اللوح المحفوظ ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[3] ، وقوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[4].

**الثالثة:** الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة ، الشاملة لكل حادث ، وقدرته التامة عليه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٤٠.

(٢) سورة الطلاق ، الآية ١٢.

(٣) سورة الحج ، الآية ٧٠.

(٤) سورة يس ، الآية ١٢.

يَشَآءُ ﴾[١] ، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٢].

وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣].

**الرابع**: الإيمان بإيجاد الله تعالى لجميع الموجودات ، لا خالق غيره ولا رب سواه ، فهو وحده الخالق وما سواه مخلوق ، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾[٤] ، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[٥].

*** أنواع التقديـــر :**

**التقدير نوعان هما:**

١ - **تقدير عام شامل لكل كائن**، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ ، فقد كتب الله فيه مقادير كل شيء إلى قيام الساعة ، وهو تقدير يعم جميع المخلوقات ، قال ﷺ: **(أول ما خلق الله القلم قال له اكتب ، قال: وما أكتب؟**

---

(١) سورة الحج ، الآية ١٨.

(٢) سورة يس ، الآية ٨٢.

(٣) سورة التكوير ، الآية ٢٩ .

(٤) سورة الزمر ، الآية ٦٢.

(٥) سورة فاطر ، الآية ٣.

**قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)**[١].

٢- **تقدير مفصل للتقدير العام**، وهو أنواع:

**الأول: التقدير العمري**، عند تخليق النطفة في الرحم، قال ﷺ: **(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه، وأجله وعمله، وشقي أو سعيد)** الحديث[٢].

**الثاني: التقدير الحولي**، وهو ما يقدر في ليلة القدر من حوادث العام ووقائعه، كما قال تعالى عن ليلة القدر: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٣].

**الثالث: التقدير اليومي**، وهو ما يقدر من حوادث اليوم ووقائعه، كما قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر ح ٤٧٠٠، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ن ح ٣٣١٩، وأحمد في المسند ٥/ ٣١٧، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٢٥٧ ح ١٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ح ٣٢٠٨، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ح ٢٦٤٣.

(٣) سورة الدخان، الآية ٤.

(٤) سورة الرحمن، الآية ٢٩.

* أنواع الإرادة :

إرادة الله عز وجل نوعان ، هما:

١- **الإرادة الدينية الشرعية** المتضمنة للمحبة والرضا ، وهي الإرادة المتعلقة بالأمر ، بمعنى أن يريد الله تعالى من العبد فعل ما أمره تعالى به ، وهي إرادة تتعلق بما يحبه الله تعالى ويرضاه ، سواء وقع أم لم يقع ، ومن أدلتها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1] ، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

٢- **الإرادة الكونية القدرية** ، وهي الإرادة المتعلقة بالخلق ، بمعنى أن يريد الله تعالى ما يفعله سبحانه وتعالى ، وهي المشيئة المستلزمة لوقوع المراد ، فهي تتعلق بالموجود ، سواء أحبه الله أم سخطه ، ومن أدلتها قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[3] ، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٨٥.

(٢) سورة النساء ، الآية ٢٦.

(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٢٥.

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٣.

فـإذا وقعـت الطاعـة ، فقـد أرادهـا الله تعـالى إرادة شرعيـة ، بمعنـى أنـه سبحانه يحبها ويرضاها ، وقد أرادها إرادة كونية قدرية ، بمعنى أنه سبحانه قدرها وأوجدها.

وإذا وقعت المعصية فقد أرادها الله إرادة كونية قدرية ، بمعنى أنه شاءها وقدرها ، لكنه سبحانه لم يردها إرادة دينية شرعية؛ لأنه لا يحبها ولا يرضاها.

*** اجتماع إرادة الله للشيء وبغضه له:**

يفهم من الإرادة الكونية القدرية بأن الله تعالى قد يريد شيئاً ويخلقه ، ولكنه لا يحبه ولا يرضاه ، فيجتمع في بعض الموجودات إرادة الله تعالى لها مع بغضه وكراهته سبحانه وتعالى لها.

**وذلك أن المراد نوعان:**

١- مراد لنفسه ، فهو مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير ، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

٢- مراد لغيره ، فهو مراد؛ لكونه وسيلة إلى المراد لذاته؛ إذ هو مكروه له من حيث نفسه ، ولكنه أراده لما يفضي إليه مما يحبه ويرضاه ، فيجتمع فيه الأمران: بغضه لذاته ، وإرادته لما يوصل إليه من محاب.

ومثال ذلك خلق إبليس ، فالله يبغضه ويسخطه ، ولكنه أراده وخلقه ، لما يوصل إليه خلقه من محاب كثيرة ، كالجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى وإغواءات إبليس ونحو ذلك ،

وكذلك إرادة الله تعالى الكونية لكفر الكافر ، ولوجود المعاصي ، كل ذلك من أجل كونها وسيلة إلى طاعات و محاب عظيمة لله تعالى.

*** حكم الرضا بالقضاء:**

**القضاء نوعان:**

١- **القضاء الديني الشرعي** ، المتعلق بشرع الله وأمره ونهيه ، فهذا يجب الرضا به ، وهو من أصول الدين.

٢- **القضاء الكوني القدري** المتعلق بخلق الله تعالى وربوبيته ، وهذا له متعلقان:

**الأول**: تعلقه بالرب ونسبته إليه ، وهو قضاء الله تعالى ، فعل قائم بذاته سبحانه ، وهذا كله خير وعدل وحكمة ، فيجب الرضا به؛ لكونه من تمام الرضا بالله ربا.

**الثاني**: تعلقه بالعبد ونسبته إليه ، وهو المقضي المفعول ، وفي حكمه تفصيل ، فمنه ما يجب الرضا به وهو الإيمان والأعمال الصالحة وسائر الطاعات ، ومنه مالا يجوز الرضا به كالكفر وسائر المعاصي.

وعلى هذا فإن المعاصي بأحكامها المختلفة لا نرضاها ، بل نسخطها ونبغضها ، لكونها فعل العاصي وبإرادته ، أما من حيث أن الله قدرها وشاءها فنحن نرضى بهذا الاعتبار؛ لأن الله لا يقضي ويشاء إلا ما فيه عدل وحكمة.

أما الابتلاءات والمصائب التي تقع على العبد فيجب الصبر عليها وعدم

الجزع والسخط من قدر الله تعالى ، ويستحب له الرضا بها ، مع وجوب إيمانه بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن الله تعالى لا يقضي إلا ما فيه خير ، وأن الشر ليس إليه، أي أن الشر المحض الذي لا خير فيه لا يقدره الله تعالى، كما أن الشر لا يضاف إلى الله استقلالاً ، وإنما يكون داخلا تحت عموم تقدير الله وخلقه ، فالابتلاءات والمصائب وإن كان ظاهرها شراً ، إلا أنها تتضمن خيراً عظيماً ، من تكفير للذنوب ، ورفع للدرجات ، وقيام كثير من العبادات.

*** العبد مسيّر باعتبار و مخيّر باعتبار:**

الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ، لا خالق سواه ، ومن ذلك أن الله تعالى خالق أفعال العباد ، وله سبحانه المشيئة الشاملة العامة ، وللعبد مشيئة وإرادة ، إلا أن مشيئة العبد وإرادته تابعة لمشيئة الله تعالى ، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1]، فلا يقع في ملك الله تعالى ما لم يشأه الله عز وجل.

ولهذا فإن العبد ليس مسيراً بإطلاق وليس مخيراً بإطلاق ، والحق أنه مخير باعتبار أن له مشيئة وإرادة ، وأعماله كسب له يثاب ويمدح على حسنها ويعاقب ويذم على سيئها ، وهو مسير باعتبار أنه لا يحصل منه شيء

---

(١) سورة التكوير ، الآيتان ٢٨ ، ٢٩.

خارج عن مشيئة الله تعالى وإرادته وخلقه وإيجاده ، كذلك فالعبد مسير في الأفعال التي تقع بغير اختياره ، كالرعشة من البرد ، وكالسقوط من علو ، ونحو ذلك.

وكل ما يحصل من هداية وضلال هو بمشيئة الله تعالى وإرادته ، وقد بين الله تعالى للعباد طريق السعادة ، وطريق الضلالة ، وأعطاهم عقولاً ، يميزون بها بين النافع والضار ، فمن اختار طريق الهداية وسلكه انتهى به إلى السعادة ، ويحصل ذلك بإرادة العبد ومشيئته، التابعة لإرادة لله ومشيئته، وذلك فضل من الله وإحسان ، ومن اختار طريق الضلالة ، وسلكه انتهى به إلا الشقاوة ، ويحصل ذلك بإرادة العبد ومشيئته التابعة لإرادة الله ومشيئته ، وذلك عدل من الله تعالى وحكمة ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾[1] أي طريقي الخير والشر.

هذا وليعلم أنه يشرع للعبد الأخذ بالأسباب ، والأخذ بها تعتريه الأحكام الخمسة ، فقد يكون واجباً أو مستحباً أو مباحاً ، أو مكروهاً أو محرماً ، حسب المسببات من الأقوال والأعمال.

والأخذ بالأسباب أثبته الله تعالى وأخبر بأنه سبحانه يفعل بها ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ

(١) سورة البلد ، الآيات ٨-١٠.

﴿أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾(١)؛ فالله تعالى يفعل بالأسباب، ويرشد إلى الأخذ بها لجلب المنافع ودفع المضار.

فعلى العبد أن يأخذ بالأسباب؛ فإنها الموصلة إلى المسببات، مع الحذر من الاعتماد عليها؛ لأن السبب الواحد، لا يستقل في حصول المطلوب، ولو قدر استقلاله به؛ فإن ذلك لا يكون إلا بعد مشيئة الله تعالى وتوفيقه، فالواجب أن لا يرجى إلا الله ولا يتوكل إلا عليه ولا يستغاث ويستعان إلا به سبحانه وتعالى.

كذلك فإن على العبد أن يتأكد من أي سبب يتخذه، بأن يتوفر فيه شرطان، الأول: أن يكون السبب مشروعاً غير محرم، والثاني: أن يكون السبب سبباً حقيقاً نافعاً في تحقيق ما أراد؛ لأنه قد يظنه سبباً وهو في الحقيقة ليس كذلك.

*** الحذر من الاحتجاج على المعاصي بالقدر:**

لا يجوز الاحتجاج بالقدر على ترك مأمور، ولا على فعل محظور، فمن فعل معصية لها عقوبة محددة شرعاً، واعتذر عن فعله بأن ذلك قدر؛ فإنه يعاقب بالعقوبة الشرعية، ويقال له: إن معاقبتك بهذه العقوبة قدر.

فلا شك أن الاحتجاج بالقدر على المعاصي باطل، وذلك من وجوه،

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٧.

منها:

١- دلالة القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[1]، فلو كان لهم حجة بالقدر على شركهم، ما أذاقهم الله بأسه، وغير ذلك من الآيات، وكذلك قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2]، ولو كان القدر حجة للعصاة لم تنتف الحجة بإرسال الرسل؛ لأن المعصية بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

٢- دلالة السنة، ومن ذلك أن الرسول ﷺ قال: (**ما منكم من أحد إلا قد كتب، مقعده من النار أو من الجنة**) فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: (**لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له**)[3]، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾[4] الآيات.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤٨.

(٢) سورة النساء، الآية ١٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر ح ١٣٦٢، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي ٢٦٤٧.

(٤) سورة الليل، الآية ٥.

فأمر النبي ﷺ بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

٣- أن الله سبحانه وتعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[1]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2]، ولو كان العبد مجبراً على فعله، وهو ما يقتضيه احتجاجه بالقدر؛ لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل؛ ولهذا فإنه لو وقعت منه المعصية بجهل أو نسيان أو إكراه؛ فإنه معذور لا إثم عليه.

٤- أن قدر الله تعالى غيب لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله، فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله تعالى، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

٥- أن الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه، حتى يدركه، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحدا؟!

٦- أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات، أو فعله من

---

(١) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله ، أو انتهك حرمته ، ثم احتج بالقدر ، وقال لا تلمني فإن اعتدائي عليك كان بقدر الله ، لم يقبل حجته ، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه ، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!

هذا هو الركن السادس من أصول الإيمان، وهو الإيمان بالقدر خيره وشره، يجب التسليم به ، وتدبره ، فإن العناية به تورث قوة التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه سبحانه وتعالى ، مع الأخذ بالأسباب ، دون الاعتماد عليها.

ومن تعلمه وفهمه أورثه حسن الانقياد والإذعان لله تعالى؛ إذ لا يعجب الإنسان بنفسه عند حصول مراده ، وتحقيق مطلوبه؛ لأن حصوله نعمة من الله تعالى وتوفيق منه جل وعلا ، بما قدره من أسباب الخير والنجاح والتوفيق ، وإيمانه بذلك يدفعه لشكر الله على توفيقه بحمده والثناء عليه واتباع شرعه ، وذلك كله يورث الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله عز وجل ، فلا يقلق لفوات محبوب أو حدوث مكروه؛ لأنه يؤمن بأن ذلك كله بقدر الله ، الذي له ملك السموات والأرض ، وهو كائن لا محالة ، وكله حكمة وعدل ، وخير لعبده المؤمن؛ إذ سيصبر على البلاء وسيشكر على السراء ، وفي كلا الحالين يثاب ويؤجر ، فلله الحمد والمنة أولاً وآخراً.

## مصادر البحث ومراجعه

١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، صالح الفوزان ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢- الاستقامة؛ ابن تيمية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٣هـ.

٣- أشراط الساعة ، يوسف الوابل ، مكتبة ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤- الإيمان ، ابن تيمية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

٥- البداية والنهاية ، ابن كثير ، مطبعة كردستان ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

٦- بيان حقيقة التوحيد ، صالح الفوزان ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، ١٤٠٨هـ.

٧- التدمرية ، ابن تيمية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٠٥هـ.

٨- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، أبو عبد الله القرطبي ، دار البخاري ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٩- التوحيد ومعنى الشهادتين ، محمد بن صالح العثيمين ، دار القاسم ، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٠- تيسير العزيز الحميد ، سليمان بن عبد الله ، المكتب الإسلامي ، ١٣٨٢هـ.

١١- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، قوام السنة الأصبهاني ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ.

١٢- درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٣- الرد على الجهمية ، عثمان بن سعيد الدارمي ، الدار السلفية ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٤- رسائل في العقيدة ، عبد العزيز بن باز ، مؤسسة قرطبة.

١٥- رسائل في العقيدة ، محمد بن صالح العثيمين ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٦- الرسل والرسالات ، عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

١٧- الروح ، ابن القيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

١٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٩- سنن ابن ماجة ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٥هـ.

٢٠- سنن أبي داود ، الناشر: محمد السيد ، حمص ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

٢١- سنن الترمذي ، مكتبة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.

٢٢- سنن النسائي ، مكتبة الحلبي ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٣هـ.

٢٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، أبو القسم اللالكائي ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى.

٢٤- شرح أصول الإيمان ، محمد بن صالح العثيمين ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٥- شرح حديث جبريل في تعليم الدين ، عبد المحسن العباد البدر ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢٦- شرح السنة ، للبربهاري ، دار ابن القيم ، الدمام ، الطبعة الأول ١٤٠٨هـ.

٢٧- شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٨- شرح العقيدة الواسطية ، محمد بن صالح العثيمين ، دار ابن الجوزي ، الدمام ١٤١٧هـ.

٢٩- الشريعة ، أبو بكر الآجري ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ.

٣٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ، البابي الحلبي ، القاهرة، ١٩٧٧م.

٣١- شفاء العليل ، ابن القيم الجوزية ، دار التراث ، القاهرة.

٣٢- الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٩٩هـ.

٣٣- صحيح البخاري (مع فتح الباري) ، دار المعرفة ، بيروت.

٣٤- صحيح الترغيب والترهيب ، ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت.

٣٥- صحيح الجامع الصغير ، ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

٣٦- صحيح مسلم بشرح النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ.

٣٧- صحيح مسلم ، دار الإفتاء ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٣٨- الصلاة وحكم تاركها ، ابن القيم الجوزية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ.

٣٩- طريق الهجرتين ، ابن القيم الجوزية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ.

٤٠- عالم الملائكة الأبرار ، عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ١٤٠٨هـ.

٤١- العقيدة ، محمد بن عودة السعوي ، دار إشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى.

٤٢- فتاوى مهمة تتعلق بالعقيدة ، عبد العزيز بن باز ، دار الفائزين ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٤٣- القول المفيد شرح كتاب التوحيد ، محمد بن صالح العثيمين ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٥هـ.

٤٤- كتاب السنة ، ابن أبي عاصم ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٤٥- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت.

٤٦- لوامع الأنوار البهية ، السفاريني ، المكتب الإسلامي ، بيروت.

٤٧- مجمع الزوائد ، الهيثمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

٤٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٤٩- مدارج السالكين ، ابن القيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

٥٠- المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، حيدر آباد الهند ، ١٣٣٤هـ.

٥١- المسند ، أحمد بن حنبل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٥٢- مفتاح دار السعادة ، ابن القيم الجوزية ، دار الإفتاء ، الرياض.

٥٣- النبوات ، ابن تيمية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.

٥٤- النهاية في الفتن والملاحم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، دار المعرفة ، الطبعة السادسة ١٤٢٥هـ.

٥٥- نواقض الإيمان القولية والعملية ، عبد العزيز العبد اللطيف ، دار الوطن ، الرياض ،

٥٦- اليوم الآخر القيامة الصغرى ، عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٨هـ.

٥٧- اليوم الآخر ، القيامة الكبرى ، عمر الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، الطبعة السابعة ١٤١٨هـ.

# فهرس الموضوعات


| الموضـــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| **المقدمة** | ٣ |
| **مراتب الدين: تعريفها والفرق بينها** | ٥ |
| مراتب الدين | ٥ |
| **تعريف الإسلام** | ٦ |
| **تعريف الإيمان** | ٨ |
| عظم قول اللسان وعمل الجوارح وتلازمهما لقول القلب وعمله | ٩ |
| **تعريف الإحسان** | ١١ |
| الفرق بين مراتب الدين | ١٢ |
| أركان الإسلام وحكم تاركها أو أحدها | ١٨ |
| **الركن الأول: الشهادتان** | ١٩ |
| **الركن الثاني: إقام الصلاة** | ٢١ |
| مكانة الصلاة | ٢٢ |
| وجوب أداء الصلاة على الرجال في المساجد | ٢٥ |
| **الركن الثالث: إيتاء الزكاة** | ٢٧ |
| مكانة الزكاة | ٢٨ |
| **الركن الرابع: صيام رمضان** | ٢٩ |

| الموضـــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| مكانة الصيام | ٣٠ |
| **الركن الخامس: حج بيت الله الحرام** | ٣١ |
| مكانة الحج | ٣٢ |
| حكم تارك أركان الإسلام أو أحدها | ٣٤ |
| **الإيمان مفصلاً** | ٤١ |
| أركان الإيمان مجملة مع الأدلة | ٤١ |
| حكم من جحد أركان الإيمان أو شيئاً منها | ٤٢ |
| أركان الإيمان مفصلة | ٤٣ |
| **الركن الأول: الإيمان بالله تعالى** | ٤٣ |
| تعريفه | ٤٣ |
| ما يتضمنه الإيمان بالله | ٤٤ |
| الإيمان بوجود الله تعالى | ٤٥ |
| الإيمان بربوبية الله تعالى | ٥٢ |
| تعريف توحيد الربوبية | ٥٢ |
| من أدلة التوحيد | ٥٢ |
| إقرار الأمم بربوبية الله | ٥٣ |
| الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي | ٥٥ |
| الإيمان بألوهية الله وحده | ٥٦ |
| تعريف توحيد الألوهية | ٥٦ |
| شروط لا إله إلا الله | ٥٩ |

| الموضـــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| توحيد الأسماء والصفات | ٦٠ |
| تعريف توحيد الأسماء والصفات | ٦٠ |
| أدلة توحيد الأسماء والصفات | ٦١ |
| العلاقة بين أنواع التوحيد | ٦٤ |
| **الركن الثاني: الإيمان بملائكة الله تعالى** | ٦٧ |
| تعريف الملائكة | ٦٧ |
| المراد بالإيمان بالملائكة | ٦٨ |
| وجوب الإيمان بالملائكة ومنزلته في الدين | ٦٨ |
| الإيمان بهم جملة | ٦٨ |
| الإيمان بهم تفصيلاً | ٦٩ |
| الأوصاف العامة للملائكة | ٦٩ |
| أنواع الملائكة وأسماؤهم وما وكلوا به | ٧٢ |
| **الركن الثالث: الإيمان بكتب الله تعالى** | ٧٨ |
| تعريف الكتب | ٧٨ |
| المراد بالإيمان بالكتب | ٧٨ |
| وجوب الإيمان بالكتب ومنزلته في الدين | ٧٨ |
| حاجة الناس إلى كتب الله تعالى | ٧٩ |
| الإيمان بهم جملة | ٨٠ |
| الإيمان بهم تفصيلاً | ٨٠ |
| القرآن الكريم | ٨٣ |

| الموضـــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| ما يمتاز به القرآن الكريم | ٨٤ |
| إضافة القرآن الكريم إلى الله تعالى. | ٨٦ |
| إضافة القرآن الكريم إلى جبريل عليه السلام وإلى محمد ﷺ | ٨٦-٨٨ |
| الوحي وأنواعه | ٨٨ |
| تعريف الوحي | ٨٨ |
| أنواع الوحي | ٨٨-٨٩ |
| **الركن الرابع: الإيمان برسل الله تعالى** | ٩٠ |
| تعريف النبي | ٩٠ |
| تعريف الرسول | ٩١ |
| الفرق بين النبي والرسول | ٩٢ |
| المراد بالإيمان برسل الله تعالى | ٩٦ |
| وجوب الإيمان برسل الله تعالى ومنزلته في الدين | ٩٦ |
| حاجة الناس إلى الأنبياء والرسل | ٩٧ |
| ما يتضمنه الإيمان برسل الله تعالى | ٩٨ |
| الإيمان بهم جملة | ٩٨ |
| الإيمان بهم تفصيلاً | ٩٨ |
| ما تثبت به النبوة (دلائل النبوة) | ١٠٦ |
| الفرق بين آيات الأنبياء والكرامات والأحوال الشيطانية | ١٠٨ |
| الفرق بين الآيات والكرامات | ١٠٩ |
| الفرق بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية | ١١١ |

| الموضـــــــــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| الإيمان بمحمد ﷺ | ١١٢ |
| بدء الوحي | ١١٣ |
| العقول السليمة تدل على حاجة البشر إلى الرسول ﷺ | ١١٥ |
| ما يتضمنه الإيمان بمحمد ﷺ | ١١٦ |
| الإسراء والمعراج | ١٢٣ |
| **الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر** | ١٢٦ |
| تعريف اليوم الآخر | ١٢٦ |
| المراد بالإيمان اليوم الآخر | ١٢٦ |
| أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم | ١٢٧ |
| لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله تعالى | ١٣٤ |
| قرب قيام الساعة | ١٣٦ |
| أشراط الساعة | ١٣٨ |
| تعريف الأشراط | ١٣٨ |
| أقسام أشراط الساعة | ١٣٩ |
| الأشراط الصغرى للساعة | ١٣٩ |
| الأشراط الكبرى للساعة | ١٤٦ |
| المسيح الدجال | ١٤٧ |
| نزول عيسى عليه السلام | ١٤٩ |
| يأجوج ومأجوج | ١٥١ |
| الخسوفات الثلاثة | ١٥٣ |

| الموضـــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| الدخان | ١٥٣ |
| طلوع الشمس من مغربها | ١٥٤ |
| الدابة | ١٥٧ |
| النار التي تسوق الناس إلى محشرهم | ١٥٨ |
| الموت وسكراته | ١٦٠ |
| ظلمة القبر وضمته | ١٦٤ |
| سؤال الملكين (فتنة القبر) | ١٦٥ |
| نعيم القبر وعذابه | ١٦٨ |
| أسباب عذاب القبر | ١٧٠ |
| مستقر الأرواح من الموت إلى قيام الساعة | ١٧١ |
| لا يشهد للمعيّن بجنة ولا نار عدا من شهد له الرسول ﷺ | ١٧٣ |
| البعث | ١٧٤ |
| المراد بالبعث | ١٧٥ |
| تقرير البعث في القرآن الكريم | ١٧٨ |
| الحشر | ١٧٩ |
| الشفاعة وأنواعها | ١٨٠ |
| العرض والحساب وقراءة الكتاب | ١٨٤ |
| الميزان | ١٨٦ |
| الحوض | ١٨٨ |
| الصراط | ١٨٩ |

| الموضـــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| الجنة والنار | ١٩٢ |
| **الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره (القضاء والقدر)** | ١٩٦ |
| تعريف القضاء والقدر | ١٩٦ |
| المراد بالإيمان بالقضاء والقدر | ١٩٧ |
| وجوب الإيمان بالقدر ومنزلته في الدين | ١٩٧ |
| مراتب الإيمان بالقدر | ١٩٩ |
| أنواع التقدير | ٢٠٠ |
| أنواع الإرادة | ٢٠٢ |
| اجتماع إرادة الله للشيء وبغضه له | ٢٠٣ |
| المراد نوعان | ٢٠٣ |
| حكم الرضا بالقضاء | ٢٠٤ |
| القضاء نوعان | ٢٠٤ |
| العبد مسير باعتبار ومخير باعتبار | ٢٠٥ |
| الحذر من الاحتجاج على المعاصي بالقدر | ٢٠٧ |
| فهرس المصادر والمراجع | ٢١١ |
| فهرس الموضوعات | ٢١٦ |


* * *